

الدبلوماسية الأيوبية - الصليبية

١١٩١ - ١١٩٢

أشرف صالح محمد سيد

الطبعة الإلكترونية الأولى

٢٠٠٧

الدبلوماسية الأيوبية - الصليبية

يصدر هذا الكتاب في ذكرى مرور أكثر من ٧٠٠ عاماً على وفاة
الملك العادل الأيوبي فارس المفاوضات الأيوبية الصليبية
١٢١٨م – ٢٠٠٧م

٢



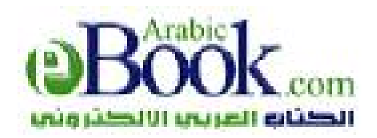
الدبلوماسية الأيوبية - الصليبية

١١٩١ – ١١٩٢

دراسة تاريخية تحليلية

دراسة وتحليل

أشرف صالح محمد سيد



شركة الكتاب العربي الإلكتروني - لبنان

www.arabicebook.com

الفهرسة أثناء النشر

٩٥٣,٠٧٣٩٣ صالح، أشرف

الدبلوماسية الأيوبية الصليبية (١١٩١– ١١٩٢)/

أشرف صالح محمد سيد.– ط ١.– بيروت: توزيع شركة الكتاب

الإلكتروني العربي، ٢٠٠٧.

٥٣ ص؛ (سلسلة المؤرخ الصغير؛٢).

– يشتمل على خرائط وأشكال توضيحية.

– رقم الكتاب **١٢١٩** بموقع Arabic eBook

١– العنوان ٢– الحروب الصليبية – (١١٩١–١١٩٢)

٣– العلاقات بين الشرق والغرب – (١١٩١–١١٩٢)

البريد الإلكتروني للمؤلف : Ashraf-salih@hotmail.com

الطبعة الإلكترونية الأولى

بيروت – حزيران ٢٠٠٧

Cover photo: World Wide Web
Cover designed by: Ashraf-salih@hotmail.com

التوزيع: شركة الكتاب الإلكتروني العربي

بئر حسن- شارع السفارة المغربية - بيروت – الجمهورية اللبنانية

صندوق بريدي: ٢٥/٩٥ الغبيري- تليفاكس: ٤-٣-٢-٩٦١١٨٥٩٥٠١

corporate@arabicebook.com

www.arabicebook.com

" الصليبية الثالثة هي الرحم الإبداعي الذي خرجت منه أسطورة صلاح الدين في الفكر الأوربي في العصر الوسيط"

د.محمد مؤنس أحمد عوض

أستاذ تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب – جامعة عين شمس

فهرس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الدبلوماسية الأيوبية – الصليبية هي إحدى صفحات تاري العلاقات بين الشرق والغرب في العصر الوسيط. فقد تعرضت الأراضي الفلسطينية في العصور الوسطي مع الشام ومصر للعدوان الصليبي القادم من أوربا تحت مظلة الدين، وذلك في صورة حملات يقودها ملوك وأمراء أوربا لتخليص المقدسات المسيحية من شرور المسلمين. وقد إتخذت هذه الحملات من الصليب شعارا لها ليوهمون به الجميع أنهم جاءوا لنصرة المسيحية، بيد أن الحقيقة كانت عكس ذلك لأن هذه الحركة الصليبية كانت لها دوافع حقيقية عديدة جاءت مستترة تحت الدافع الديني الظاهري المعلن لهذه الحركة. ومن بين هذه الحملات تظهر بجلاء تلك الحملة الصليبية المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة التي شهدت أعظم قادة العرب وأشهر ملوك الغرب.

وموضوع هذا الكتاب هو الجانب الأيوبي والصليبي على مائدة التفاوض إبان الحملة الصليبية الثالثة، وبمعني آخر تلك المفاوضات التي دارت بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك الإنجليزي ريتشارد قلب الأسد لمدة عام كامل (١١٩١-١١٩٢) وكان فارسها العادل الأيوبي.وفي الواقع لقد تناول الكثيرون في كتابتهم تلك الحملة الصليبية الثالثة وتحدث البعض عن موضوع المفاوضات الذي نحن بصدده ولكن بإتجاهات مختلفة، فالبعض أشار للموضوع إشارة عابرة، وهناك من أفرد صفحات للحديث عنه ولكنها جاءت غير مركزة أو شافية، وفي الغالب ضاع موضوع المفاوضات في ثنايا أحداث الحملة. ولعل هذا يوضح أهمية هذا الكتاب الذي جاء من أجل إلقاء الضوء على تلك المفاوضات الهامة، ومن جهة أخري ليس الهدف من الكتاب هو سرد الأحداث التاريخية ولكن دراسة وتحليل بعض الجوانب الهامة وهي:

الأسباب التي دفعت بالجانب الصليبي للجلوس على مائدة التفاوض، وحقيقة فكرة المصاهرة السياسية التي إقترحها ريتشارد قلب الأسد لتزويج أخته من العادل الأيوبي شقيق صلاح الدين، ثم من هو المسئول عن مصرع المركيز كونراد صاحب صور وهل كان لصلاح

الدين أو الملك ريتشارد دخل في هذا الحادث ، وأخيرا الهدنة العامة التي ختمت أحداث المفاوضات بين الجانبان .

وعلى هذا فقد قسمت خطة الكتاب إلى ثلاثة فصول بالإضافة إلى المقدمة والتمهيد والخاتمة فجاءت على النحو التالي:

الفصل الأول : وعنوانه " لقاء دير الراهب".

وهذا الفصل يتناول الأسباب التي أدت إلى طلب الصليبيين فتح باب المفاوضات مع المسلمين ، ثم اللقاء الأول بين الملك ريتشارد والملك العادل الأيوبي الذي أنابه السلطان للحديث في المفاوضات. أما الجزء الأخير في هذا الفصل فيتناول موقف المركيز كونراد صاحب صور الذي طلب التفاوض مع السلطان بناءا على شروط ومطالب خاصة .

أما الفصل الثاني : فقد جاء تحت عنوان " الزواج السياسي".

ويتناول إقتراح الزواج السياسي بين العادل وأخت ريتشارد ، وإدراك ريتشارد أهمية مدينة عسقلان ومحاولته السيطرة عليها وتعميرها بعد أن خربها صلاح الدين، ثم قضية إغتيال المركيز كونراد والإتهامات الواردة فيها، وموقف الكونت هنري من المسلمين بعد أن اعتلي عرش المركيز المقتول .

ثم يأتي الفصل الثالث : وعنوانه "الدبلوماسية الأيوبية".

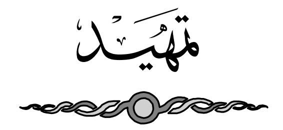
ويشتمل على الهدنة العامة بين المسلمين والصليبيين بعد عام كامل من التفاوض ، ثم تخريب مدينة عسقلان التي أدت لتعثر المفاوضات أكثر من مرة.

وقد إتبعت في سبيل إنجاز هذا الكتاب المنهج العلمي التاريخي التحليلي الذي يقوم على أساس عرض الوقائع التاريخية ومحاولة الربط بين الأقوال والروايات المختلفة ومحاولة إستنباط الحقائق من بينها وما يترتب عليها من إستنتاجات من خلال الشرح والتفسير.

وأخيراً؛ أريد أن أقول أنني في سبيل جمع معلومات هذا الكتاب صادفتني بعض الصعوبات ولذلك فعذري بين إن أخطئتني الحقيقة أو نأي عني الصواب فما أنا إلا مجتهد يصيب ويخطأ.

أشرف صالح محمد سيد

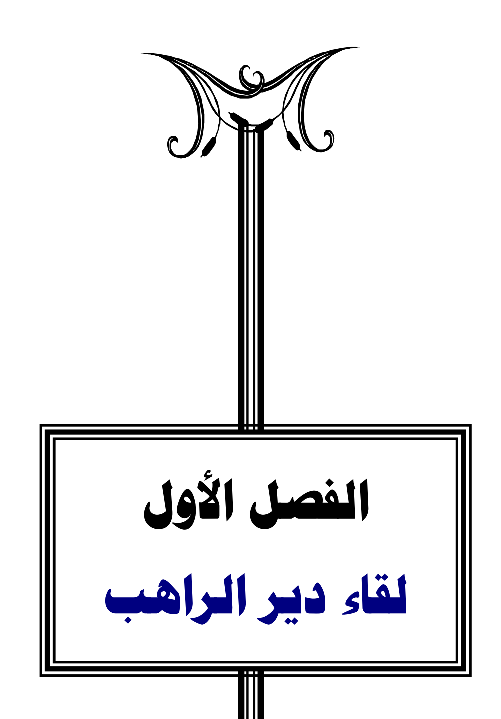
فندق شيراتون المنتزه- الإسكندرية
الاثنين ٢٠ يونيو٢٠٠٥



كانت معركة حطين في ٤ يوليو ١١٨٧م/٥٨٣هـ واسترداد المسلمين بعدها لبيت المقدس بمثابة ضربة قاصمة للكيان الصليبي في بلاد الشام الذي بدأ في الانهيار ذلك لأن المدن الصليبية كانت تتهاوى واحدة تلو الأخرى في يد المسلمين. ولهذا حشدت أوربا قواتها لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وذلك في صورة حملة صليبية جديدة وهي المعروفة بالحملة الصليبية الثالثة. وقد قاد هذه الحملة ثلاثة من أبرز ملوك وأباطرة أوربا في ذلك الوقت وهم فردريك بربار وسا إمبراطور ألمانيا، وفيليب أوغسطس ملك فرنسا ثم ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا.

والواقع أن أول من حمل منهم الصليب وتوجه إلى الشرق كان الإمبراطور الألماني على رأس جيش ضخم،إلا أن هذا الإمبراطور عندما عبر بقواته إلى أسيا الصغرى غرق في أحد الأنهار هناك. فتفرق أغلب أفراد هذه الحملة ولم يصل سوي عدد قليل إلى مدينة عكا الساحلية للمشاركة في حصارها وذلك بجانب قوات الملك الفرنسي الذي سارع بالقدوم للمنطقة بعد الكارثة السابقة وفقد الصليبية الثالثة للدعم الألماني. أما الملك الإنجليزي فقبل أن يصل إلى الشرق عرج في الطريق على جزيرة قبرص واستولى عليها، وذلك لموقعها الفريد في مواجهة الساحل الشامي والذي يمكن الصليبيين من التزود بالمؤن قبل قدومهم لبلاد الشام.

وهكذا ؛ تقابلت القوات الإنجليزية والفرنسية عند أسوار مدينة عكا وذلك بقصد إسقاطها في القبضة الصليبية لأنها جوهرة الساحل الشامي والتي يمكن من خلالها استرداد بقية المدن الصليبية لاسيما بيت المقدس وهي الغرض الأساسي من الحملة. ودار الصراع الحربي بين المسلمين والصليبيين بشأن المدينة، وتخلل هذا بعض الاتصالات للتفاوض من أجل عكا إلا أن هذا لم يمنع حامية المدينة من الاستمرار في مقاومة الصليبيين. وقد استمر حصار عكا كما استمرت المعارك المتصلة بين الجانبين لمدة عامين كاملين ١١٨٩-١١٩١م إلا أن المدينة سقطت في النهاية في أيدي الصليبيين. وبهذا انتهت معركة عكا لتبدأ أحداث معركة جديدة لا تقل ضراوة عن المعارك الحربية وهي المفاوضات الأيوبية- الصليبية والتي استمرت عاما كاملا ١١٩١-١١٩٢م.



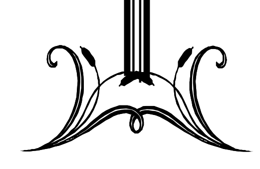
الفصل الأول

لقاء دير الراهب

- وضع الجانب الصليبي وسبب طلبه الدخول في المفاوضات.
- طلب الملك ريشارد التفاوض مع الملك العادل.
- موقف المركيز كونراد ومفاوضاته مع السلطان.

" القدس متعبدنا ما ننزل عنه ولو لم يبقي منا واحد"

ريشارد قلب الأسد



يتصدى هذا الفصل لدراسة وضع الصليبيين المحليين وبيان منازعاتهم وموقف الصليبيين الواردين منهم، وتأثير ذلك على فتح باب المفاوضات مع المسلمين وتسابق كلا منهما في الجلوس على مائدة التفاوض لتحقيق أهدافه أو أطماعه، ومدي تجاوب الجانب الإسلامي معهم.

بداية ؛ نوضح انه بعد سقوط عكا في يد الصليبيين أميط اللثام عن فوارق واضحة بين القوي الإسلامي والصليبية ليس فقط من الناحية المادية بل والمعنوية أيضا، فقد أفقدت المعركة الجانبين الكثير من الأموال والذخائر بالإضافة لخسائر فادحة في الأرواح على أن صلاح الدين ظل محتفظا بوحدة القيادة في جيوشه وبقوة الروح التي أثارها فيمن تبقي حوله من العساكر المسلمين، كما ظل قادرا على تجييش عدد كبير من الجند من مختلف الأقطار الواقعة تحت سلطته المباشرة، أما الصليبيين فقد كان لجهلهم بطبيعة بلاد الشرق الجغرافية اثر عليهم بالإضافة لتعدد جنسيات المحاربين الصليبيين وعدم توحيد قيادتهم(١).

والواقع أن الصليبيين قضوا مدة شهر ونصف يرتاحون في عكا من عناء الحرب ويقررون أمرها (٢). بيد أن ذلك لم يكن السبب الوحيد حيث أن المشاجرات كان لها دورا في تأجيل زحفهم إلى داخل الساحل بعض الوقت. فقد وقع بين الصليبيين سوء تفاهم بسبب عرش مملكة بيت المقدس، ومن هو صاحب الحق من المطالبين به. وبينما اخذ ريتشارد (٣)

---

(١) نظير حسان سعداوي، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، مكتبة النهضة، ب. ط، القاهرة ١٩٥٧، ص ٢٦٥ .

(٢) سعيد احمد برجاوي، الحروب الصليبية في المشرق، ب. د، ب.ط،بيروت ١٩٨٤، ص ٤٢٦ .

(٣) كان ريتشارد (١١٥٧ - ١١٩٩م)جنديا ذو موهبة في وضع الخطط الحربية وعلي دراية بفن المناورات في القتال. وكان ذو شخصية قيادية بالغ الطموح، وبوصفه مقاتلا كان قريبا من الجنون وكان يتميز بشجاعة لا تصدق وكان مفعما بالجرأة ؛ وبوصفه أميرا كان زكيا ومحترسا وحذرا. كان بوسعه أن يجازف بحياته بلا مبالاة تامة. وعنه أنظر :
ستيفن رانسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العريني، الجزء الثالث، ب. د، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٩٣، ص ٧٦- ٧٧ ؛ ميخائيل زابوروف، الصليبيون في الشرق، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، ب.ط، موسكو ١٩٨٦، ص ٢١٠، حاشية (١) .

جانب جي لوزجنان، فان فيليب اخذ جانب كونراد مونتيفرات [١]. وأخيرا قرر ريتشارد أن يكون كونراد وريث جي وانه إذا مات الاثنان ورث هو هذا العرش، وبذلك وجه ريتشارد هذا النزاع لمصلحته وظهرت أطماعه ورغبته في الاستئثار بكل شئ [٢].

وتجدر الإشارة هنا ؛ إلى أن فيليب بعد حسم النزاع السابق عاد إلى فرنسا نظرا إلى أن الأحوال في بلاد كانت في حاجة إليه، بالإضافة إلى غضبه من ملك إنجلترا لأن هذا الأخير قد نقض معه اتفاقهم من حيث اقتسام ما يستولون عليه وبهذا بقي ريتشارد منفردا بزعامة الحملة.

وقد فكر ريتشارد بعد ذلك في خطة لتحقيق هدف الحملة، تتمثل في الزحف بمحاذاة الساحل نحو الجنوب للاستيلاء على المدن الساحلية الواقعة بين عكا وعسقلان ليسهل بعد ذلك الوصول إلى بيت المقدس. غير أن ذلك الطريق الساحلي اعترضته سلسلة من التلال الرملية المنخفضة ذات الغابات الكثيفة والمليئة بالحيوانات الضارة والحشرات والناموس القاتل والأفاعي والثعابين [٣]. ويضاف إلى ذلك؛ شدة الحرارة وقلة المؤن وخراب البلاد والقرى، كما أن القوات الصليبية كانت أثناء زحفها محصورة بين البحر من ناحية والمسلمين من ناحية أخرى [٤]. حيث عمد الجيش الأيوبي إلى مضايقة الصليبيين في سيرهم، ومهاجمتهم بالسهام [٥].

والواقع أن الصليبيين قد اختاروا هذا الطريق الساحلي على الرغم من صعوبته لأنهم كانوا يخشون مفارقة الساحل حتى لا يحول المسلمون بينهم وبين مراكبهم التي تمثل مصدر

(١) عبد المنعم ماجد، العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي، مكتبة الجامعة، ب.ط، بيروت ١٩٦٦، ص ١٨١ .

(٢) نفسه، نفس المرجع والصفحة .

(٣) نظير سعداوي، المرجع السابق، ص ٢٦٦ .

(٤) سعيد عبد الفتاح عاشور، الناصر صلاح الدين، الدار المصرية للتأليف، ب.ط، ب.م، ب .ت، ص ٢٤٢ - ص ٢٤٣ ؛ الحركة الصليبية، الجزء الثاني، مكتبة الأنجلو، الطبعة السادسة، القاهرة١٩٩٤، ص ٦٨٧- ص٦٨٨.

(٥) يلاحظ أن الصليبيين تعرضوا خلال عملية الزحف بمحاذاة ساحل البحر للهجمات الأيوبية وذلك بقصد إنهاك الجيش الصليبي علي نحو يؤدي لضعف فعالياته الحربية، وإلحاق أكبر قد من الخسائر البشرية والمادية في صفوفه، وعن ذلك أنظر :
محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة ١٩٩٩، ص ٢٣٨-٢٣٩ .

مؤنهم[١]. ولا مراء في أن هذا الوضع قد دفع ريتشارد لفتح باب المفاوضات مع صلاح الدين للتوصل إلى حل سلمي وتجنب القتال[٢].

وقد حدث أن طلب الصليبيين من مقدم نوبة كشافة المسلمين بأن يبلغ الملك العــادل (٥٤٠-٦١٥هـ/ ١١٤٥ - ١٢١٨م) رغبة الملك ريتشارد في الحديث حول الصلح معه، وقد استأذن العــادل من السلطان صلاح الدين في الحديث معهم فأذن له [٣]. وقد جرت أحداث الاجتماع التفاوضي بين العادل والصليبيين عند قرية عرفت بدير الراهب [٤]. وكان مضمون حديث الصليبيين معه أن القتال قد طال بين الجانبين، وقد قتل من الفريقين العديد من الرجال، وانهم جاءوا نتيجة استغاثة الصليبيين الموجدين بالساحل فإذا تصالح المسلمين معهم رجعوا- أي الصليبيين الوافدين- من حيث أتوا [٥]. وقد بعث صلاح الدين برسالة للعادل ليطيل الحديث مع الصليبيين حتى تصل الإمدادات العسكرية [٦]. ويتضح من هذا أن صلاح الدين قبل التفاوض للاستفادة منه في تأخير حركة الصليبيين واكتساب الوقت.

وقد اجتمع العادل والملك ريتشارد بعد ذلك للحديث في أمر الصلح، وقد اخبر العادل ريتشارد بأنه لا يعرف شروطه للصلح، فكان جواب ريتشارد بان الشرط الأساسي الذي يعتبر

(١) ابن العديم، زبدة الحلب مـن تـاريـ حلب، تحقيـق سـامي الـدهان، الجـزء الثـالـث، ب.د، ب.ط، دمـشق، ب.ت، ص ٨٦٧ .

(٢) كان ريتشارد قد أوضح الأسباب التي جعلته يرمي إلى الصلح في كتابه إلى أسقف كليرفو Clairvaux، حيث أن المناطق الخاضعة لسيادته وشدة حرارتها كانت السبب في المرض وإنفاق الكثير من الأموال واستنفاد القوة والصحة، بالإضافة لإصابة الجنود بالإحباط نتيجة لأن السفن كانت تنقل بين عكا ويافا أشخاص غير مرغوب فيهم .وعن ذلك أنظر :
السيد الباز العـريني، الـشرق الأوسـط والحـروب الـصليبية، الجـزء الأول، دار النهـضة العربيـة، ب.ط، القاهرة ١٩٦٣، ص ٩٧٠ – ٩٧١ .

(٣)ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعـة الثانيـة، القاهرة ١٩٩٤، ص ٢٧٣.

(٤)ابن واصـل، مفـرج الكـروب في أخبـار بـني أيـوب، تحقيـق جمـال الـدين الـشيال، الجـزء الثـاني، المطبعـة الأميرية، القاهرة ١٩٥٧، ص ٣٦٧ ؛ ابن الفرات، تاريـ الدول والملوك، تحقيق حسن محمد الشماع، المجلد الرابع – الجزء الثاني، دار الطباعة الحديثة، ب. ط، بغداد ١٩٦٩، ص ٣٢ .

(٥)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٧٣ .

(٦)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٧٣ .

أساسا للمفاوضات هو أن تعود البلاد كلها للصليبيين[١]. فقال له العادل : " هذا لا مطمع فيه وهذا رسم باطل حقنا معفيه ودون حدود البلاد حدود الحداد "، وكانت تلك كلمات غليظة على مسامع ريتشارد نقلها إليه هنفري بن الهنفري الذي كان يتولي الترجمة بينهما وبهذا الجواب من العادل انتهي الاجتماع[٢]. وعلى اثر ذلك بعث العادل برسول لصلاح الدين ليخبره أن الصليبيين قد تحدثوا معه في أمر الصلح وان مطلبهم الأساسي هو إعادة جميع البلاد الساحلية لهم، وقد وافق صلاح الدين على هذا الطلب لأنه رأي فيه مصلحة لعامة المسلمين، فقد رأي أن العساكر قد أصابهم الضجر من مواصلة القتال والبقاء طويلا في الميدان، كما أن الديون قد تراكمت عليهم [٣]. وبسبب هذه الحالة كتب السلطان للعادل يسمح له بمتابعة المفاوضات " وفوض أمر ذلك إلى رأيه" [٤]. ويعني ذلك دون مشورة أحد، فالسلطان أناب عنه الملك العادل في التفاوض. ومن جهة أخري؛ يعد ذلك إعترافا من جانبه على قدرة العادل في تحمل مسئولية التفاوض مع الصليبيين.

وفي الحقيقة ؛ إذا كانت ابرز الخصائص الواجب توافرها في السفير – كما سجلها الكتاب المسلمين المعاصرين- أن يكون السفير وسيما مسيما، عفيفا جيد اللسان، وحسن البيان، وحاد

---

(١) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٧٤ ؛ ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاري الأعيان، الجزء الثامن، مجلس دائرة المعارف العثمانية، الطبعة الأولي، الهند ١٩٥١، ص ٤٠٩.

Steven Runciman, The history of crusades, Vol. 3, Cambridge university press, London 1954, P.55

ومن الملاحظ أن هناك بعض المصادر الصليبية لم تذكر واقعة التقاء ريتشارد بالعادل، وعن ذلك أنظر

Ambroise, The crusade of Richard Lion Heart, translated by John L. lamonte, Columbia University Press, New York 1941, P. 248-note (16).

(٢) العماد الكاتب الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، المطبعة الخيرية، ب.ط،القاهرة ١٩٦٥، ص ٥٤٢.

ويلاحظ هنا أن العماد أورد رد العادل علي ريتشارد، أما ابن شداد فلم يذكر سوي عبارة " فأخشن له الجواب، وجرت منافرة اقتضت أنهم رحلوا بعد انفصالهما ". أنظر :

ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٧٤.

(٣) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٨١؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد السابع، ب. د، ب. ط، بيروت ١٩٩٤، ص ١٩٨ .

(٤) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٨١؛ اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، الجزء الثالث، دار الكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية، القاهرة١٩٩٣، ص ٤٦٠ .

البصر، وذكي القلب، ويفهم بالإيماء، ويناظر الملوك على السواء[١]، فإن هذه الصفات تنطبق تماما على شخصية الملك العادل - شقيق صلاح الدين – الذي أدار دفة المفاوضات بنجاح [٢].

والجدير بالذكر؛ أن لقاء دير الراهب في ٥ سبتمبر ١١٩١م بين الملك العادل وريتشارد قد مثل آخر فرصة ممكنة من أجل التوصل إلى حل سلمي بين الجانبين وتجنب الصدام الحربي بينهم[٣]. فعقب يومين فقط من هذا اللقاء خاض الجانبان غمار معركة أرسوف بمبادرة من الجيش الأيوبي بالهجوم على الصليبيين ثم تحول الصليبيين من الدفاع للهجوم المفاجئ العنيف، مما أدي لتفرق وتراجع المسلمين حتى لحقت بهم الهزيمة[٤].

على أية حال؛ تجددت المفاوضات ولكن هذه المرة من جانب الصليبيين المحليين حيث بعث المركيز كونراد صاحب صور برسالة لصلاح الدين فحواها انه على استعداد لمحاصرة عكا واستردادها من أيدي إخوانه في الدين بشرط أن يعطيه السلطان صيدا وبيروت[٥]. وقد اشترط أن يقسم السلطان له أولا إذا تم الاتفاق بيد أن السلطان بعث إليه مشترطا أن يبادر هو

---

(١) عمر كمال توفيق، الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين، ب.د، ب.ط، الإسكندرية ١٩٨٦، ص ١٢٠ .

(٢) كان العادل صاحب رأي قوي، لديه القدرة علي أن يسمع ما يكره، غزير العقل. وعن الملك العادل وصفاته أنظر :

ابن اياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفي، الجزء الأول – القسم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٢، ص ٢٥٣، ص ٢٥٧ ؛ القرماني، أخبار الدول وأثار الأول في التاريـ ، مكتبة المتنبي، ب.ط، القاهرة، ب.ت، ص ١٩٤ – ١٩٥ ؛ محمد كرد علي، خطط الشام، الجزء الثاني، ب.د، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٩، ص ٨٠ –٨١ ؛ سهير محمد مليجي علي، حلب في القرن الثاني عشر الميلادي – السادس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف عليه عبد السميع الجنزوري، كلية البنات- جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٩٦، ص ١٠٨ .

(٣) محمد مؤنس عوض، الصراع الإسلامي – الصليبي معركة أرسوف ١١٩١ م – ٥٨٧ هـ، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة ١٩٩٧، ص ١٥ .

(٤) ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٦٧ – ٦٨ ؛ ابن الفرات، المصدر السابق، م ٤/جـ٢،ص٣٣-٣٤ ؛ محمد مؤنس عوض، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٤٠ – ٢٤١ .

Martin windrow and francisk.mason, Aconise dictionary of military biography, Camelot press, first published, London 1975, P.239.

(٥) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٨٥ ؛ العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٥٦٠؛ رانسيمان، المرجع السابق، ص ١١٧.

Alfried Duggan, The story of the crusade (1097-1291), first published, London 1963, P.190

أولا بحصار عكا واستردادها وان يطلق سراح الأسرى الموجودين بها والذين في صور أيضا، ثم بعد ذلك يسلم له المدينتين المشار إليهما[١].

عندما علم ريتشارد بمحاولة المركيز للتفاوض مع السلطان توجه إلى عكا لكي يعوق أي مصالحة تكون بين كونراد والمسلمين، بل وضم كونراد إلى صفوف القوات الصليبية[٢]. كما بعث ريتشارد هو الآخر برسول من جانبه ليتحدث في مسألة الصلح، حيث أوضح في رسالته أن البلاد أصبحت خراب، وانه قد عم الطائفتين نقص في الأموال والأرواح،وان الأمر قد طال واخذ حقه ووجب الصلح لينتهي هذا العناء، كما أشار بأن الصليبيين لن يتحولوا عن القدس حتى ولو لم يبقى منهم واحد هذا بالإضافة لتمسكهم بعسقلان[٣]واستعادة الأردن وما فيها من حصون، واما الصليب (صليب الصلبوت) " فيمن به السلطان علينا "[٤]. وقد أجابه صلاح الدين بأن القدس اعظم عند المسلمين مما هي عند الصليبيين، ولا يكون هناك أبدا تصور للتخلي أو النزول عنها، أما البلاد التي يريدها الصليبيين فهي في الأصل للمسلمين وكان الاستيلاء عليها طارئا لضعف المسلمين الذين كانوا بها وقت الاستيلاء عليها واما الصليب فلا يجوز التفريط فيه إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام.

ومن الضرورة بمكان ملاحظة أن تمسك كلا من الملك والسلطان ببيت المقدس[٥] راجع لان هذه المدينة مقدسة في نظر جميع الأديان، فالمسيحيون يقدسونها لأنها موطن المسيح

---

(١) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٨٥ ؛ ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٧٢؛ ابن الفرات، المصدر السابق، م ٤/جـ٢، ص ٣٩.
Ambroise, op.cit., p.331-note (7)

(٢) محمود سعيد عمران، تاري الحروب الصليبية(١٠٩٥-١٢٩١)، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، لإسكندرية ١٩٩٥، ص ١٧٧ .

(٣) وعن تدمير صلاح الدين لمدينة عسقلان بعد خمسة أيام فقط من معركة أرسوف حتى لا تقع في يد الصليبيين وتشكل خنجرا مصوبا لقلب مصر، ثم سيطرة ريتشارد عليها ومحاولته تعميرها، أنظر الفصل الثاني من هذا الكتاب.

(٤) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٩٠ ؛ رانسيمان، المرجع السابق، ص ١١٥ .
ويلاحظ هنا أن ريتشارد جمع في رسالته بين الشدة والملاينة لعلمه بوجود مفاوضات صليبية أخري مع صلاح الدين .

(٥) تقع مدينة بيت المقدس بين البحر الميت من الشرق والبحر المتوسط من الغرب، وتبعد عن الأول ١٨ ميلا وعن الثاني ٣٢ميلا. وهي مرتفعة نحو ٣,٨٠٠ قدم عن سطح البحر الميت و ٢,٥٠٠قدم عن سطح البحر المتوسط. وعنها أنظر :
الاصطخري، مسالك الممالك، دار صادر،ب.ط، بيروت، ب.ت، ص ٥٦- ٥٧ ؛ ابن حوقل، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، ب.ط، القاهرة ١٩٩٨، ص ١٥٨ ؛ عارف باشا العارف، تاري القدس، دار المعارف، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٨٥.

مبعث هدايته[١]، أما بالنسبة للمسلمين فهي أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، فيها مهبط الإسراء ومبدأ المعراج عند قبة الصخرة[٢].

والأن ؛ من الممكن أن نقرر أن هذه المرحلة من المفاوضات تدل على مدى تمزق الجانب الصليبي وانشقاقه، فموقف الصليبيين الواردين زعامة ريتشارد من المسلمين يختلف شكلا وموضوعا عن موقف الصليبيين المحليين بزعامة كونراد فالواقع أن طلبات المركيز كونراد كانت بمثابة معاهدة هجوم دفاعي يتحالف فيها مع أعداء الأمس وهم المسلمين ضد الصليبيين إخوانه في الدين. بيد انه قد انشق بموقفه هذا على سائر الصليبيين؛ فهو بمثابة ضربة موجهة ضد الحملة الصليبية الثالثة عامة والملك ريتشارد خاصة وذلك لان كونراد يعلم جيدا مدى تكاليف هذه الحملة التي جاءت من اجل حماية الصليبيين المحليين[٣]، ومن جهة أخري فإن طلباته تعكس طموحاته ومصالحه الشخصية فقط في المنطقة الساحلية.

والجدير بالذكر؛ أن صلاح الدين عمد إلى توازن مائدة التفاوض بين ريتشارد وكونراد أثناء مسيرة المفاوضات وذلك لتحقيق الفائدة للمسلمين و إضعاف مركز ريتشارد عند التفاوض معه[٤]. بيد أن تسابق الجانبين في إيفاد الرسل إلى السلطان أشعل نار الحقد في نفس كلا منهما تجاه الآخر[٥].

---

(١) محمد بيومي مهران، المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، دار المعرفة الجامعية، ب.ط، الإسكندرية ١٩٩٩، ص ٢٤٠ .

(٢) قال تعالي : " سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى "رقم (١٧) أية(١).

(٣) عمران، المرجع السابق، ص ١٧٧ .

الجدير بالذكر؛ أن كونراد مونتيفرات يعد مسئولا أكثر من غيره عن الحملة الصليبية الثالثة،فقد أرسل مرارا إلي الغرب يلتمس النجدة، وما كادت الأنباء تصل إلي روما حتى بادرت البابوية بإرسال المنشورات إلي سائر أنحاء أوربا، ولم يلبث أن تم الإستعداد لحملة صليبية جديدة ألا وهي الحملة الصليبية الثالثة. وعن ذلك أنظر :

إرنست باركر، الحروب الصليبية،ترجمة السيد الباز العريني،دار النهضة العربية، الطبعة الرابعة، بيروت ١٩٦٧، ص ٨٦.

(٤) عمر كمال، المرجع السابق، ص ١٧١ – ١٧٢ .

(٥) نظير سعداوي، المرجع السابق، ص ٢٨٠ .



الفصل الثاني
الزواج السياسي

- اقتراح الزواج السياسي بين العادل وأخت ريتشارد.
- محاولة الملك ريتشارد التمسك بعسقلان وتعميرها.
- مقتل كونراد وتولي الكونت هنري بدلاً منه وموقفه من المسلمين.

" إن البلاد في يدك فما الذي تعطيني منها"

الكونت هنري

يتناول هذا الفصل بالدراسة فكرة المصاهرة السياسية بين التاجين الأيوبي والإنجليزي والموقف الإسلامي الصليبي منها، وظهور مدينة عسقلان بعد التخريب والتعمير على طاولة المفاوضات، ثم قضية اغتيال المركيز صاحب صور والاتهامات الواردة فيها.

الواقع أن الاتصالات لم تنقطع بين الجانبين فبعد ثلاثة أيام – من المقترحات السابق ذكرها – أرسل ريتشارد في ٢٠أكتوبر ١١٩١م / ٢٩ رمضان ٥٨٧ هـ برسول للعادل ومعه عرض بالمصاهرة يتمثل في إقتراح ريتشارد بأن يتزوج العادل من جوانا ملكة صقلية (أخت الملك ريتشارد) وأن يقيما الاثنان بعد الزواج في مدينة بيت المقدس ويكون حكمها ثنائيا بينهما، وأن يهب السلطان شقيقه العادل جميع بلاد الساحل بالإضافة إلى ما في يده من بلاد، وان يقدم ريتشارد لشقيقته كل ما فتحه من مدن الساحل بما في ذلك عسقلان، وان ترد إلى الداوية والإسبتارية كل ممتلكاتهم في بلاد الشام، وان يحصل الصليبيين على صليب الصلبوت، كما يتم تبادل الأسرى بين الجانبين [1]. وقد أرسل العادل بوفد إلى السلطان لعرض الأمر عليه، وقد ترك مجلس المشورة الرأي للسلطان فوافق على المشروع كما وافق العادل أيضا، إلا أن الرفض جاء من جانب جوانا التي أنكر رجال الدين عليها هذا الزواج، ولهذا عرض ريتشارد على العادل الدخول في الديانة المسيحية، إلا أن العادل رفض ذلك في دبلوماسية وترك باب المفاوضات مفتوحا[2]. وكانت آخر الرسائل التي بعثها ريتشارد في هذا المشروع تفيد بأن رجال الدين يرفضون هذا الزواج دون مشورة البابا، ولهذا فقد أرسل ريتشارد له رسولا يعود بعد ثلاثة أشهر فإذا صرح بالأمر تم عقد الزواج وإلا زوج ريتشارد العادل ابنة أخته إليانور دون أن يحتاج إذن البابا في ذلك[3].

(١) ابن شداد، المصدر السابق، ص٢٩٢ ؛ العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص٥٥٥ ؛ ابن سباط، صدق الأخبار، تحقيق عمر عبد السلام، الجزء الأول، جروس بيرس، الطبعة الأولي،طرابلس ١٩٩٣،ص٢٠٠؛ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الخامس، مؤسسة جمال للنشر، ب.ط، ب.ت، ص ٣٢٧
(٢) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٩٢- ٢٩٣.
Runciman, op.cit.,p.59.
(٣) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

وفي الحقيقة؛ إن مشروع الزواج اكثر العروض خيالا[١]، ومبالغة غير مقبولة في عصر اتسم بالتزمت الديني في هذه الناحية في الشرق والغرب على السواء[٢].

وإذا كان هناك من يرى أن هذا الزواج كان فكرة طريفة تدل على مدى التقارب والتفاهم بين المسلمين والصليبيين [٣]، فهذا النوع من الطرافة يأتي من أن الأمر كله لا يعدو المزاح، فتنفيذ هذا المشروع كان يبدو مستحيلا وسط حرب دائرة بين المسلمين والصليبيين تحمل طابعا دينيا[٤]. كما أن هذا التقارب لا وجود له، فقد استغل ريتشارد الصداقة المتبادلة بينه وبين العادل لخدمة أغراضه و إطالة أمد المفاوضات ولعرقلة قيام أي تحالف بين صلاح الدين وكونراد. ويتضح ذلك من رسائل ريتشارد الخاصة بطلب التنصير من العادل، وانتظار وصول موافقة البابا على هذا الزواج. ومن زاوية أخرى؛ فإن ريتشارد لم يكن جادا في عرضه – كما يعتقد البعض[٥]– ذلك لأنه عرض على العادل الزواج من إليانور إذا رفض البابا زواجه من جوانا.

من جهة أخرى؛ إذا كان الدليل على هذا التقارب بين الفريقين يأتي من موافقة صلاح الدين والعادل على هذا المشروع[٦]، فالواقع أن السلطان وافق على هذا الاقتراح إعتقادا منه بأن ريتشارد لا يوافق على هذا العرض أصلا، وان الأمر كله لا يعدو سوى هزو ومكر[٧]. أما

---

(١) Malcolm and Jackson,op.cit.,P.342.

(٢) إبراهيم سعيد فيهم محمود، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي(١٠٩٩-١٢٩١م/٤٩٢-٦٩٠هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف جوزيف نسيم يوسف، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية،١٩٩١، ص ١٨٠.

(٣) محمود محمد الحويري، العادل الأيوبي صفحة من تاريخ الدولة الأيوبية، دار حراء، ب.ط، القاهرة ١٩٧٩، ص ٤٢ .

(٤) عاشور، الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٦٩٤ ؛ صلاح الدين، ص ٢٥٣.

(٥) Ernest Barker, The crusades, oxford university press, London 1949,P. 64-65. Runciman, op.cit.,P.59.

(٦) ومن الملاحظ هنا أن ريتشارد كان يراوغ في عرضه فلماذا لم يقدم هذا العرض منذ البداية إذا كان زواج العادل من اليانور لن يتطلب موافقة البابا لذكر ابن شداد ما نصه " أن البابا يحتاجه الصليبيين في تزويج الثيب من بنات الملوك، وأما الابكار فيزوجها أهلها". أنظر: ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٧) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٩٢ .

بالنسبة للعادل فربما رحل بهذا المشروع بغية إقرار السلام[١]، أو أن هذا الحل يضمن توحيد الفريقين تحت لواء واحد[٢]. بل يذهب البعض لأبعد من هذا في أن العادل هو الذي حاول إغراء ريتشارد كي يزوجه أخته وجعل ذلك من مقومات عقد الصلح[٣]. والواقع أن العادل كان دبلوماسيا بالغ الحنكة فلا ريب انه قد أدرك أن الأمر كله لا يعدو سوى مناورة يقوم بها ريتشارد ولهذا وافق على المشروع [٤].

على أية حال؛ فقد تجدد اللقاء بين الجانبين في ٨ نوفمبر ١١٩١م / ١٨ شوال ٥٨٧ هـ حيث اجتمع العادل مع ريتشارد في موقع اليزك، وقد طلب ريتشارد أثناء هذا الإجتماع من العادل أن يقوم بترتيب إجتماع له مع السلطان، وكان جواب الأخير على هذا الطلب بأنه بعد الصلح يكون الإجتماع [٥]. ويتضح من ذلك أن صلاح الدين كان يدرك بثاقب بصره أن ريتشارد لا يبغي الصلح الجاد من وراء هذا الاجتماع وإنما تضييع الوقت. وقد عقد صلاح الدين بعد ذلك مجلس مشورته لترجيح الصلح مع أحد الجانبين ريتشارد أو المركيز، وقد أجمع المجلس على أن يتم الصلح مع ريتشارد لأنه سوف يعود لبلاده، أما الصلح مع الصليبيين المحليين فغير مقبول لأن "مخالتطهم غير مأمونه"[٦]. بيد أن صلاح الدين كان يفضل الصلح مع المركيز لأن ذلك يضعف الصليبيين ويزيد من إنقسامهم.

وبينما كانت الأمور تجري على هذا النحو دخل فصل الشتاء، وعاد صلاح الدين للقدس، وعاد ريتشارد لعكا[٧]. وقد ترددت الرسائل بين الجانبين بعد ذلك إلا أن المراسلة بينهم لم تسفر عن شئ لأن ريتشارد دائما يعدل في مقترحاته، وربما كان السر في ذلك أنه كان

---

(١) محمود محمد الحويري، مصر في العصور الوسطي، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولى، الجيزة ١٩٩٦، ص ٢٠٥.

(٢) عاشور، الحركة الصليبية، جـ ٢، ص ٦٩٤ .

(٣) حسين الأمين، صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، دار الجديد، الطبعة الأولي، بيروت ١٩٩٥، ص ١٢٢.

(٤)ومما يذكر أن العادل كان يدرك أن أخت الملك ريتشارد لن تقبل الاقتران برجل عربي ولهذا فلعله وافق علي المشروع علي سبيل "المزاح كعادته". أنظر :
ابن العبري، تاريـ الزمان، تحقيق إسحق أرمله، دار المشرق، بيروت١٩٩١، ص ٢٢٢ .

(٥)ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٠٠ ؛ العماد الأصفهاني، المصدر السابق،ص٥٦٠ ؛ ابن خلكان،المصر السابق، ص ١٩٩ .

(٦) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٠٣

(٧) ا بن شداد، المصدر السابق، ص ٣٠٥ .

ينوي القيام بعمل عسكري على الرغم من سوء الأحوال الجوية فقد أدرك ريتشارد ومن معه من القادة أهمية عسقلان في حسم الصراع الدائر بينهم وبين صلاح الدين لدخول بيت المقدس، ولهذا رأي ريتشارد أنه لابد من السيطرة على عسقلان أولا لقلة رجاله من ناحية، ولرغبته في تأمين جيشه الزاحف نحو بيت المقدس من ناحية أخري، فكان عليه أن يتجه إلى عسقلان لإعادة تحصينها[١].

والجدير بالذكر، أن صلاح الدين إتبع بعد معركة أرسوف سياسة تدمير بعض المواقع الإستراتيجية الهامة الخاضعة لسيادته؛ حتى لا تقع في قبضة الصليبيين على نحو يجعلهم يحققون مكاسب على أرضية الصراع[٢]، فقد خشي السلطان الأيوبي أن يتخذ الصليبيون من عسقلان مركزا للانطلاق إلى المدينة المقدسة ومن هنا جاء قراره بتخريبها في ١٢ سبتمبر ١١٩١م / ١٩ شعبان ٥٨٧ هـ[٣].

ولم يكن هذا القرار سهلا على صلاح الدين الذي كان يري أن موت أحد أبنائه أحب إليه من تخريب عسقلان[٤]. وعلى الرغم من ذلك قاد السلطان جزءا من جيشه صوب عسقلان وأمر بإخلائها من السكان ودمر المدينة عن آخرها، وقذف بحجارتها في البحر، وارتفعت أصوات أهلها بالبكاء أسفا عليها، وتم إتلاف الغلات التي لا يمكن نقلها أو تحويلها، وباع أهل المدينة أشياءهم بأبخس الأثمان، ورحل البعض منهم إلى مصر والبعض الأخر ذهب للشام[٥].

---

(١) مصطفي عبد العزيز العسقلاني، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف محمد محمد مرسي الشيخ ، كلية الآداب-جامعة الإسكندرية، الإسكندرية ١٩٩٢، ص١٤٧.

(٢)الواقع أن صلاح الدين إتبع سياسة هدم المدن التي يعجز عن الدفاع عنها وذلك منعا لوقوعها في يد الصليبيين فيشتد بها ساعدهم، ولذلك قام بهدم عسقلان وهدم حصن الرملة واللد. أنظر :
الحافظ شمس الدين الذهبي، دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مزوه، الجزء الثاني، دار صادر، الطبعة الأولي،بيروت١٩٩٩،ص٩٦ ؛ الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين علي ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، دار الملاح، ب.ط، دمشق ١٩٨١، ص ٨٦.

(٣) محمد مؤنس، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٤٤ .

(٤) فقد كان السلطان مهموما بسبب ما إستقر عليه الأمر بتخريب المدينة، حتى أنه قال:" والله لأن أفقد أولادي كلهم أحب إلي من أهدم منها حجرا واحدا، ولكن إذا قضي الله بذلك وعينه لحفظ المسلمين طريقا فكيف أصنع" أنظر: ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٨٠.

(٥)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٢٧٩-٢٨٠ ؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، المجلد الثاني عشر، دار صادر، الطبعة الثالثة، بيروت١٩٨٢،ص ٧٠ ؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفي زيادة، الجزء الأول- القسم الأول، ب.د، الطبعة الثانية،ب.م، ب.ت، ص١٣٣ ؛ النويري نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد أحمد، الجزء الثامن والعشرون، دار الكتب المصرية، ب.ط، القاهرة١٩٩٢، ص٤٣٤- ٤٣٥ ؛ ابن كثير، البداية والنهاية، المجلد السادس، دار الغد العربي، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٩١، ص ٨٨٤.

ومع ذلك فقد إلتمس الصليبيون في خراب عسقلان ملجأ لهم، وذلك بناءا على نصيحة الفرنج الشاميين من الداوية والإسبتارية، الذين بادروا بتوجيه أنظار ريتشارد إلى عسقلان وإعادة عمارتها حتى يسيطر الصليبيين على المؤن التي ترد من مصر إلى بيت المقدس كما يتيسر لهم الإتصال بالأسطول(١). وقد وصلت قوات ريتشارد المدينة في ٢٠ يناير ١١٩٢م / ٣ محرم ٥٨٨ هـ وبدأت في إعادة بنائها على الرغم من المتاعب التي صادفتها من قسوة المناخ وقلة المؤن، فلم يكن الأمر يسيرا نظرا لما لحق بالمدينة من التخريب الشامل على يد صلاح الدين بتدمير أسوارها وأبراجها الضخمة التي لم تقل عن ثلاثة وخمسين برجا، ولتضأول المال الذي يستأجرون به العمال، ونظرا لهذا تحتم على الفرسان والأجناد والغلمان وسائر رجال الحملة أن يشتركوا في العمل تحت إشراف ريتشارد بل إنه أسهم في ذلك بنفسه(٢)

وبينما كان ريتشارد في عسقلان - حيث أمضي فيها أربعة أشهر - وصلت أنباء عن تطلع شقيقه حنا للاستيلاء على عرش إنجلترا فبدت الأمور ملحه لعودة ريتشارد إلى بلاده، فأضطر لعقد مؤتمر في عسقلان خلال شهر إبريل سنة ١١٩٢م / ٥٨٨ هـ

وأعرب للمجتمعين فيه من الفرسان والبارونات عن رغبته في العودة إلى بلاده ولكنه حريص على حل مشكلة عرش مملكة بيت المقدس قبل عودته، وترك لهم حرية الإختيار ما بين جي وكونراد فوقع رأي الأغلبية على كونراد لاعتلاء عرش مملكة بيت المقدس، وعلى الفور توجه هنري كونت شامبانيا إلى صور ليهنئ كونراد الذي قاطع هذا المؤتمر وظل بمدينة صور، وفي نفس الوقت توجه جي لوزجنان إلى قبرص لينصب بها ملكا (٣).

(١)العريني، المرجع السابق، ص ٩٨٣ ؛
(٢)العريني، المرجع السابق، ص ٩٨٤.
والجدير بالإشارة أن صلاح الدين لم يتقاعس في الدفاع عن عسقلان بالرغم من أن المدينة أصبحت خربة خالية فقد أرسل بعض فرقه لمناوشة الصليبيين، بينما سمح لقواته الرئيسية بأخذ قسط من الراحة حتى تتحسن الظروف الجوية فيتمكن من التصدي للصليبيين الذين لابد وأنهم يستعدون للهجوم علي بيت المقدس وهي الهدف الرئيسي للحملة كلها. وعن ذلك أنظر: مصطفي العسقلاني، الرسالة السابقة، ص ١٤٣. - Runciman,op.cit., P.62 .
(٣) جرجس فام ميخائيل، الأحوال السياسية لمملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١-١٢٩١م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف فايز نجيب إسكندر، كلية الآداب- جامعة الزقازيق، الزقازيق١٩٨٩، ص ١١٤- ١١٥ .

Runciman,op.cit.,P.63

ولم يهنأ كونراد بوضعه الجديد فسرعان ما اغتيل بصور على يد اثنين من الباطنية (الحشاشين) في الثامن والعشرين من أبريل ١١٩٢م[١]. و في الحقيقة هناك إختلاف بين المصادر الإسلامية والصليبية في حقيقة المحرض على قتل كونراد ولهذا فمن الضروري عرض الاتهامات الواردة في هذا الشأن وتحليلها على النحو التالي :

أولا : إتهم المؤرخ ابن الأثير صلاح الدين صراحة بقتل كونراد[٢]. والواقع أن صلاح الدين لم يكن أبدا رجل الغدر والخيانة فسيرته الذاتية وعلاقته مع أعدائه تثبت ذلك، ويكفي أنه على مدي تاريخه لم يغدر بأي عدو له على الإطلاق. ومن جهة أخري لماذا يقدم صلاح الدين على قتل كونراد وهو على علم تام بالإنقسامات بين الصليبيين[٣]، كما أن وجود كونراد على مائدة التفاوض مع صلاح الدين كان له أهمية كبري لجعل مركز ريتشارد حرجا عند التفاوض مع المسلمين، ولهذا كان من المنطقي أن ترد إشارات في المصادر الإسلامية توضح أن السلطان لم يسر لمصرع كونراد لما سوف يترتب على ذلك من توحيد كلمة الصليبيين وهذا ما ليس في مصلحة صلاح الدين و المسلمين[٤].

زد على ذلك ؛ أن المصادر الصليبية لم ترد فيها أدني إشارة لإتهام صلاح الدين بهذا الأمر. والواضح أن الإتهام لا يخرج عن دائرة الكراهية الشخصية التي يكنها ابن الأثير لصلاح الدين والتي تظهر أكثر من مرة في كتاباته [٥].

---

(١) Ambroise, op.cit., P.338-not(12) ; Runciman,op.cit., P46 ; J.O.Thorne, Chambers's Biographical Dictionary, new edition, London 1961, P.307 ; Regine Pernound, The crusades, London 1962, P.198 .

(٢) فيذكر أن صلاح الدين دفع عشرة آلاف دينار إلي شيـ الجبل سنان في مقابل أن يقتل كلا من ريتشارد والمركيز،فقتل سنان الأخير وترك الأول لأن بقتله سيتفرغ صلاح الدين للحشاشين وهذا ليس من المصلحة في شيء. أنظر : ابن الأثير، المصدر السابق، م ١٢، ص ٧٨ - ٧٩.

(٣) Duggan, op.cit., P.19

(٤)ابن واصل،المصدر السابق،جـ ٢، ٣٨٢ ؛ ابن الفرات، المصدر السابق، م٤/جـ٢، ص ٦٤ .

(٥)عاشور، صلاح الدين، ص ٢٥٥.

الواقع أن المؤرخ ابن الأثير نشأ في ظل حكم الزنكيين ولذلك فإنه في أهم مؤلفاته وهي"الكامل في التاريـ " وكتابه"الباهر في الدولة الأتابكية" نجده يحابي أمرائه الزنكيين ولا يلتزم جانب الحياد أو التفصيل حين يتكلم عن علاقة الزنكيين بصلاح الدين أو حين يتكلم عن صلاح الدين نفسه. أنظر: شاكر مصطفي، التاريـ العربي والمؤرخون،الجزء الثاني، الطبعة الأولي، دار العلم،بيروت١٩٧٩،ص١١٤.

ثانيا : تشير المصادر الصليبية إلى اتهام الحشاشين أنفسهم بإغتيال كونراد، وذلك بناءا على حادثة فحواها أن كونراد كان قد إستولي على سفينة تجارية تابعة للحشاشين عندما دخلت مدينة صور، فإستولي على ما في السفينة من سلع وغرق بحارة السفينة، وقد رفض كونراد أي محاولة إرضاء أو تعويض عرضها سنان شيخ الجبل[(١)] عليه، وكرد على هذه الإهانة أرسل سنان رجلين ليثأر لنفسه من المركيز[(٢)].

ثالثا : إتهم الرأي العام ريتشارد بقتل كونراد[(٣)]، وفي نفس الوقت تؤكد المصادر الإسلامية على ذلك، حيث ذكرت أنه عندما تم القبض على الرجلين منفذي الإغتيال[(٤)] إعترفا بأن ريتشارد هو الذي دفعهم لهذا الأمر[(٥)].

ولكي يبرأ الإنجليز ملكهم كتبوا في حولياتهم رسالة مزورة بعث بها شيخ الجبل إلى ليوبولد الخامس دوق استريا [(٦)] يعلن فيها الشيخ صراحة أنه قد أمر بقتل كونراد[(٧)].

---

(١) هو أبا الحسن سنان سليمان بن محمد. ولد بجوار البصرة في قرية عقر السدن علي قول ياقوت الحموي،وكان قوي الشخصية حاد الذكاء، وكان أول من لقب بشيخ الجبل، وهو أكبر زعماء الحشاشين في الديار الشامية. وعنه أنظر :
زكي النقاش، الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف حسن إبراهيم حسن، كلية الآداب-جامعة القاهرة، الجيزة ١٩٥٣، ص ١٧٤ .

(٢) Ambroise, op.cit., P.338-note(12) ; Runciman, op.cit., P.65 ; Robert Lee Wolef and Harry W. Hazard, The Later Crusades (1189 –1311), Vol.2, University of Pennsylvania press, London 1962, P.80- 81 .

(٣)اتش.إ.ماير، الحملات الصليبية، الجزء الأول، ترجمة محمد فتحي الشاعر، دار الأمين، الطبعة الأولي،القاهرة ١٩٩٩، ص ٢٠٢.

(٤) هناك من يري أن أحد الرجلين قتل علي الفور بينما تم القبض علي الأخر وسجن وقبل إعدامه اعترف أنه هو ورفيقه من الحشاشين،وأن الذي كلفهما بهذا الأمر هو سنان شيخ الجبل. أنظر :
Runciman,op.cit., P.65 ; Duggan, op.cit., P.193 .

(٥)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣١٠ ؛ العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٥٨٩

(٦) ليوبولد(دوق النمسا) هو الرجل الذي قذف ريتشارد في عكا بعلمه علي الأرض،ولم ينسي ليوبولد الإهانة وأثناء عودة ريتشارد إلي بلاده بعد إنتهاء الحملة الصليبية الثالثة مجتازا أراضي الدوق قبض عليه الأخير وإتهمه بقتل كونراد وألقي به في السجن لمدة سنتين. أنظر :
زابوروف، المرجع السابق، ص ٢١١ ؛ سعيد برجاوي، المرجع السابق، ص ٤٣٨ ؛ رانسيمان، المرجع السابق، ص١٤٢.
James Westafall Thompson, The Middle Ages (300-1500), Vol.1, pilmpton press, London 1931, P.586; Rily-Smith, The Crusade (1095-1279), first published, London 1981, P.21.

(٧)رانسيمان، المرجع السابق، ص ١٤٣، حاشية(١).
Hans Eberhard Mayer, the Crusades, oxford university press, London 1972, P.146.

وبالإضافة إلى هذا تستبعد المصادر الصليبية مسئولية ريتشارد عن هذا الحادث[١] لأنه رجل قضي حياته في الحرب وهو فارس شريف[٢] ولم يكن ليقدم على استخدام سلاح الإغتيال[٣]. وفي الحقيقة؛ إن دوافع قتل كونراد قد تكون لدي ريتشارد أكثر من أي شخص أخر، فليس من المستبعد أن يكون ريتشارد هو صاحب الدسيسة وذلك لتوفر العديد من الدوافع لديه؛ فالمركيز في نظر الصليبيين خائن وخارج على الدين ومواليا للأعداء، كما أنه يمثل حجرة عثرة في طريق ريتشارد الدبلوماسي مع المسلمين، وبمعني أخر فإن مفاوضات كونراد مع صلاح الدين كانت تؤدي لعرقلة مفاوضات ريتشارد مع السلطان وإضعاف مركزه التفاوضي. والراجح أن ريتشارد قد دفع بالأموال لشيخ الجبل لكي يغتال المركيز، وقد وجد سنان في هذا فرصة سانحة لكسب المال والثأر في آن واحد[٤].

وعلى أية حال؛ عندما علم هنري كونت شامبانيا – ابن أخت ريتشارد- بمصرع كونراد طار من عكا إلى صور حيث إستقبله سكان المدينة بالهتاف ليرث العرش ويتزوج الأميرة إيزابيلا زوجة المركيز المقتول[٥]. وقد وجه الكونت هنري رسالة مليئة بالإدعاء والغرور إلى صلاح الدين فحواها أنه يريد أن ترد له مملكة بيت المقدس لأنه أصبح ولي عهدها، وعلى أثر هذه اللهجة من الكونت هنري بعث ريتشارد برسالة لصلاح الدين يخبره فيها أنه جعل هنري وقواته في خدمة السلطان فليعامل هنري إذن معاملة حسنة، فأرسل السلطان له بأن الكونت هنري سيكون لديه "كبعض أولاده"[٦].

---

(١) Ambroise,op.cit., P.338-note (12)

(٢) Duggan, op.cit., P.193

(٣) Runciman, op.cit., P.65.

(٤)ومن الملاحظ أن مصرع كونراد أثلج صدر ريتشارد، حيث يذكر العماد أن ريتشارد كان يسابق المركيز في إيفاد الرسل إلا أنه لما قتل المركيز" سكن روعه وورعه. وطاب قلبه وآب لبه. واستوي أمره وإستشري شره" . أنظر : العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٥٨٩.

(٥) رانسيمان، المرجع السابق، ص ١٢٦.

(٦) ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٢٤-٣٢٦ ؛ رانسيمان، المرجع السابق، ص ١٣٣.

وكان ريتشارد قد طلب في رسالته السابقة أن يعطيه السلطان كنيسة القيامة[١]، وقد رأى مجلس المشورة ضرورة عقد الصلح لأن المسلمين أصابهم الضجر والتعب وكثرة الديون[٢]، فما كان من السلطان إلا أن أرسل لقلب الأسد بأنه يكون للصليبيين كنيسة القيامة والبلاد الساحلية التي فتحوها، ويكون للمسلمين القلاع الجبلية، إلا عسقلان وما ورائها فتكون خرابا ليست لأحد من الجانبين [٣].

فتعثرت المفاوضات بين الجانبين نظرا لتمسك ريتشارد بعسقلان لأنه صرف في إعادة تحصينها أموالا طائلة، ولهذا عرض صلاح الدين عليه أن يعوض الصليبيون في المقابل بالمزارع والقري القريبة من عسقلان،على أن تخرب الداروم وغيرها[٤].

إلا أن ريتشارد حرص على أن تترك هذه الأماكن الثلاثة؛ عسقلان ويافا والداروم عامرة، وأعلن تخليه عن القدس نهائيا، على أن يكون للصليبيين من الداروم إلى أنطاكية[٥]. وقد رفض السلطان هذه الشروط و أصر على خراب عسقلان وتعويض الصليبيين في المقابل باللد، فرفض ريتشارد هذا العرض وبعث برسول للسلطان ليخبره بأنه " لا يمكننا أن نخرب من عسقلان حجرا واحدا ولا يسمع عنا في البلاد مثل ذلك" [٦]، وبهذا وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود.

---

(١) توجد كنيسة القيامة في بيت المقدس وقد بنتها القديسة هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين في عام٣٢٥م.
أنظر: محمد مؤنس عوض، الجغرافيون والرحالة المسلمون في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة ١٩٩٥، ص ٦٢، حاشية (٥٠) .

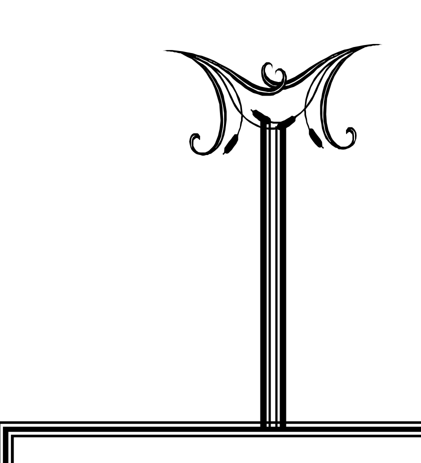
(٢)الواقع أن؛ نقص الأموال كان ناتجا عن أن صلاح الدين أنفق مال مصر في فتح الشام، ومال الشام في فتح الجزيرة ومال الجميع في فتح الساحل.ثم وجد نفسه في النهاية بلا موارد تكفي للحصول علي الأسلحة والمؤن وعطاء الأجناد، ولذلك ما استطاع أن يفعل شيئا لتخفيف الضائقة التي حلت بالعساكر. أنظر:
هاملتون جب، دراسات في حضارة الإسلام، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين، ب.ط، بيروت ١٩٦٤، ص ١٣٨.

(٣)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٢٦ ؛ ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٩١ .

(٤)ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٢٧ ؛ مصطفي العسقلاني، الرسالة السابقة، ص ١٥٨.

(٥)ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٢٨ ؛ ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٩٢ .

(٦)ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٢٨ ؛ ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٩٣ .



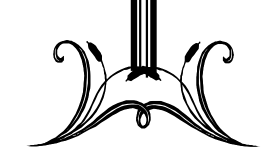
الفصل الثالث
الدبلوماسية الأيوبية

- هدنة الرملة.
- نزول الملك ريتشارد عن عسقلان وتخريبها.
- تقييم عام للمفاوضات.

" إن بقيت الديار لنا فلنا كل ما فيها، وإن ضاعت منا

ضاع كل ما يملكه كل فرد واستولي عليه العدو"

صلاح الدين الأيوبي



يتعرض هذا الفصل لدراسة وتحليل خاتمة أحداث المفاوضات الأيوبية – الصليبية بعد عام كامل من التفاوض، وإلقاء الضوء على الحجرة العثرة التي أوقفت المفاوضات كثيرا ألا وهي مدينة عسقلان .

كان توقف المفاوضات دافع لصلاح الدين للقيام بعمل عسكري من شأنه إجبار ريتشارد على قبول المقترحات السابقة إذ ما عاد لمائدة التفاوض من جديد. فقد إنتهز صلاح الدين فرصة غياب ريتشارد عن يافا وقام بالاستيلاء عليها، إلا أن ريتشارد عاد للمدينة فور علمه بالأمر وألحق الهزيمة بالقوات الإسلامية التي لاذت بالفرار، وعادت يافا إلى الصليبيين مرة أخري[١].

وعقب معركة يافا ازدادت رغبة ريتشارد في العودة إلى بلاده نظرا لسوء الأحوال فيها ولهذا أرسل إلى السلطان لطلب الصلح، إلا أن الإتصالات لم تسفر هذه المرة أيضا عن شئ لتشدد الجانبين في أمر مدينة عسقلان. وقد مرض ريتشارد بعد ذلك في يافا وظل بها فترة فأرسل له السلطان بطبيبه الخاص ومعه الفاكهة والثلج[٢]. وعندما اشتد بريتشارد المرض أرسل إلى العادل ليتوسط له عند السلطان في الصلح، على أن يعطيه السلطان عسقلان فإن رفض قبل ريتشارد التعويض عن ما أنفقه في تعميرها، فعقد السلطان مجلسه للتشاور في الأمر حيث أجمع الأمراء على ضرورة عقد الصلح لما لحق بالبلاد من التدمير والتخريب من ناحية، ولأن الجنود تراكمت عليهم الديون وأصابهم الضجر من مواصلة القتال والبقاء طويلا في الميدان من ناحية أخري[٣].

وبينما كانت الأمور تجري على هذا النحو أعلن ريتشارد نزوله عن عسقلان وعن طلب التعويض الذي اقترحه، وبذلك اتضح انه يبغي الصلح الجاد هذه المرة. فنشطت المراسلات

---

(١)ابن واصل، المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٩٣-٣٩٨ ؛ رانسيمان، المرجع السابق، ص ١٣٣-١٣٥

(٢)جرجس ميخائيل، الرسالة السابقة، ص ١١٨ ؛ محمد مؤنس، العلاقات بين الشرق والغرب،ص٢٥١

(٣)ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٤٣ ؛ العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص ٦٠٣ –٦٠٤ ؛ ابن الأثير، المصدر السابق، ص ٨٦؛ مؤرخ الجستا المجهول، أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، الجزء الثاني، الهيئة العامة للكتاب،ب.ط، القاهرة ٢٠٠٠، ص ٢٦٤.

بين الطرفين للإتفاق على قواعد الصلح حتى تم الإتفاق على هدنة الرملة في ١ سبتمبر ١١٩٢م/ ٢١ شعبان ٥٨٨هـ [١].

وقد رفض ريتشارد أن يقسم على الهدنة متعللا بأن الملوك لا يقدمون على مثل ذلك الأمر، ولهذا أقسم بالنيابة عنه الكونت هنري، وباليان بن بارزان، ومقدما الإسبتارية والداوية [٢]. وقد أعطي السلطان يده فقط مثلما فعل ريتشارد ولم يقسم وأقسم بالنيابة عنه الملك العادل، والملك الأفضل، والملك الظاهر – أبناء السلطان-، والملك المنصور – صاحب حماة-، والملك المجاهد – صاحب حمص-، والملك الأمجد بهرام شاه – صاحب بعلبك-، والأمير بدر الدين – صاحب تل باشر-، والأمير سابق الدين عثمان – صاحب شيرز-، والأمير سيف الدين المشطوب وغيرهم من المقدمين الكبار[٣].

وكانت الهدنة تنص على الأتي [٤]:

أولا: هدنة عامة في البر والبحر والسهل والوعر مدتها ثلاثة سنوات وثمانية أشهر.

ثانيا: يكون للصليبيين المنطقة الساحلية من يافا جنوبا حتى عكا شمالا.

(يافا، أرسوف، قيسارية، حيفا، عكا)

---

(١)العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص٦٠٥؛ الدوداري، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء السابع، ب.د، ب.ط،القاهرة ١٩٧٢، ص ١١١؛ الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب،الجزء الثالث، دار الكتب العلمية،ب.ط، بيروت، ب.ت، ص ٢٩٢ ؛ الحافظ شمس الدين الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق صلاح الدين المنجد، الجزء الرابع، ب.ط، الكويت١٩٦٣ ص٢٦٥ ؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ب.د، الطبعة الأولي، ب.م، ب.ت، ص٢٣٣.

Edward Maslin Hulme, The Middle Ages, revised edition, New York 1938, P.490; Z.N.Brooke, A History of Europe (911-1198), first published, London 1938,P.495.

(٢)ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٤٧ ؛ ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، الجزء الثاني، ب.د، الطبعة الثانية، النجف ١٩٦٩، ص ١٥٠.

(٣)ابن الفرات، المصدر السابق، م٤/جـ٢، ص ٨٤ ؛ أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، الجزء الثالث، مكتبة المتنبي، ب.ط،القاهرة، ب.ت،ص ٨٢.

(٤)العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص٦٠٥ ؛ ابن واصل، المصدر السابق، ص ٤٠٣ ؛ ابن سباط، المصدر السابق، جـ ١، ص ٢٠٤؛ ابن الفرات، المصدر السابق، م٤/جـ٢، ص ٨٤ ؛ مؤرخ الجستا المجهول، المصدر السابق، جـ ٢، ص٢٦٤-٢٦٥.

رانسيمان، المرجع السابق، ص ١٣٩ –١٤٠.

Harold Lamb, The Crusades The Flame of Islam, New York P.193; Sidney Painter, A History of The Middle Ages (284-1500), second printing, New York 1945, P. 216

ثالثا: تخريب عسقلان .

رابعا: تكون اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين.

خامسا: يكون للصليبيين حرية الحج إلى بيت المقدس .

هذا وقد إشترط الصليبيين دخول صاحب أنطاكية وطرابلس في الهدنة فوافق السلطان على أن يقسموا فإن لم يفعلوا ذلك لا يدخلوا فيها [١]. وقد أمر صلاح الدين أن يذاع خبر الهدنة في معسكرات الجنود وفي الأسواق ليتنقل المسلمين والصليبين في البلاد بحرية وسلام[٢].

ويمكننا الآن أن ندرك بعض الأمور الهامة نعرضها على النحو التالي :

أولا: كان ريتشارد حريصا على طلب الصلح نظرا لما أصاب جنوده من الضجر لطول غيابهم عن أوطانهم، بالإضافة لسوء الأحوال في بلاده ومحولات أخيه حنا إقصائه عن العرش ورغبته في العودة بأسرع صورة ممكنة، وأخيرا اشتد به المرض ويأس من الشفاء. وعلى هذا كانت شروط الصلح جيدة بالنسبة له بأي حال من الأحوال[٣].

ثانيا: لم يكن الصلح من إيثار السلطان صلاح الدين لأنه كان يفضل الجهاد، كما انه كان يخشي من أن يقوي العدو وله بلاد في يده فيخرج لإستعادة بقية البلاد[٤]. بيد أنه أدرك أن المصلحة في عقد الهدنة لأن الحرب قد طالت وألحقت بالمسلمين خسائر عديدة.

ثالثا: إن هذه أول مرة تنتهي حملة صليبية إلى صلح أو اتفاق يجمعها على التعايش وقبول الواقع[٥]. والواقع أن ما حدث ليس صلحا وليس معاهدة سلام دائمة وإنما في الحقيقة هدنة مؤقتة قصيرة الأجل.

(١) ابن شداد، المصدر السابق، ص٣٤٧ ؛ النويري،المصدر السابق، جـ ٢٨،ص ٤٣٦.
(٢) أبو شامة، عيون الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق أحمد البيومي، القسم الثاني، مكتبة الأسد، ب.ط، دمشق ١٩٩٢، ص ٢٧٢.
(٣) فلم يكن ريتشارد يطمع في أحسن من هذه الشروط "وأما من يري غير ذلك ويرفض الإتفاق السلمي فكذاب أشر" أنظر : مؤرخ الجستا المجهول، المصدر السابق، ٢٦٥.
(٤) أبو شامة، المصدر السابق، جـ ٢، ص٢٧٣ ؛ ابن واصل، المصدر السابق، جـ٢، ٤٠٥ .
(٥) عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص ١٨٤ .

رابعا: تختلف روايات المصادر الإسلامية والصليبية في تحديد مدة سريان المعاهدة وبدايتها، والواقع أن هذا الأمر مردود عليه بأن العماد الأصفهاني هو الذي كتب نسخة المعاهدة مما يدفعنا إلى ترجيح روايته(١).

خامسا: إن المدة الزمنية للمعاهدة تفيد في إعادة تعمير البلاد وتحسين الزراعة التي أتلفتها الحرب، فضلا عن أن هذه المدة من شأنها أن توفر الراحة للجيش الأيوبي الذي لم يهدأ طوال سنوات عديدة (من ١١٨٧ حتي ١١٩٢) فقد قضي هذا الجيش كل هذه المدة تقريبا في قتال، فقد خرج من معركة حطين ليدخل في معارك فتح الساحل ثم حصار بيت المقدس، ثم معركة عكا- عامين كاملين- ثم معركة أرسوف.

أما بالنسبة للصليبيين؛ فقد حسبوا أن وقت إنتهاء المعاهدة يوافق "وصولهم من البحر"(٢) حتي يقوموا بالعدوان على المنطقة على من جديد .

سادسا: لم يتم في هذه الهدنة أية اعتراف للصليبيين بأي حق لهم على أرض فلسطين وإنما تقرر عدم القتال على ما انتزعوه من أرض إلى أن تنتهي الهدنة.

سابعا: من الراجح أن التجار الإيطاليين كان لهم دور في إقناع ريتشارد بالتخلي عن المدينة المقدسة نظير استيلائه على المدن الساحلية (٣). وفي الواقع لقد خرج الصليبيين بمكاسب من هذا البند الخاص بالمنطقة الساحلية لأن بها جوهرة الساحل الشامي عكا، كما أن يافا كان من شأنها تسهيل وصول الحجاج الأوربيين المسيحيين إلى المناطق المقدسة لديهم. ومن المنطقي تصور دور التجار الإيطاليين إذ أن المستعمرات الصليبية في بلاد الشام كانت في

---

(١) يذكر جيوفري دي فينسوف،وأمبروز، وروجر أوف أن مدتها ثلاث سنوات تبدأ من عيد القيامة لسنة ١١٩٣م /٥٨٩هـ. أنظر: ابراهيم سعيد، الرسالة السابقة، ص ٢٠٣.
وهناك من يذكر أن مدة الصلح خمس سنوات. أنظر: رانسيمان، المرجع السابق، ص ١٣٩ .
أما العماد فيذكر ما نصه: "فحضرت لإنشاء عقد الهدنة وكنت نسختها، وعنيت مدتها وبنيت قضيتها وذلك يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين الموافق لأول أيلول لمدة ثلاث سنوات وثمانية شهور". أنظر : العماد الأصفهاني، المصدر السابق،ص ٦٠٥.
(٢) العماد الأصفهاني، المصدر السابق،ص ٦٠٥ ؛ نعمان الطيب سليمان، منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة، مطبعة الحسين، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٩١، ص ٣٢٢ .
(٣) نعمان الطيب، المرجع السابق، ص ٣٢٢ .

أمس الحاجة لمساعدات المدن الإيطالية، ليس في المجال العسكري فحسب، لكن بصورة أكبر في نقل الإمدادات والمؤن والطعام، وبشكل مكثف الحجاج والفرسان والمحاربين [١].

ثامنا: إن البند الخاص بجعل اللد والرملة مناصفة بين المسلمين والصليبيين يعد من الإشارات الأولي في المصادر العربية عن نظام بلاد المناصفات، وهي المناطق التي توصف بأنها مناطق محايدة[٢].

تاسعا: يحمل البند الخاص بالحج رسالة حضارية على جانب كبير من الأهمية، فقد أراد السلطان أن يوضح للصليبيين أنه لا توجد أية مشكلات من شأن تدفق حركة الحج المسيحي مع وجود المقدسات المسيحية في أيدي المسلمين[٣]. ومما يذكر في هذا الشأن أن ريتشارد طلب من السلطان ألا يسمح للصليبيين بالحج إلا بإذن منه – أي من ريتشارد شخصيا – ولكن صلاح الدين رفض هذا الطلب حتي لا يجعل له بمقتضي هذا الحق أي سيطرة على بيت المقدس ولو معنوية، ومن ناحية أخري خوفا من غضب الحجاج المسيحيين وهم من أمم مختلفة، حتي لا يعودوا ويثيروا أممهم ضد السلطان من جديد [٤].

عاشراً: كان من الطبيعي أن يقابل الجانبين الإسلامي والصليبي الهدنة بالارتياح بعد أن مل كلا منهما طول القتال[٥]، ولهذا ترددت في المصادر العبارات التي توصف الفرح والسرور الذي عم الجانبان في يوم الهدنة .

---

(١) حاتم عبد الرحمن الطحاوي، الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي، الجيزة ١٩٩٩، ص ١١٦.
الواقع أن أية حرب مع المسلمين كانت تؤدي إلي كساد تجارة الجمهوريات الإيطالية. كما يلاحظ أن البنادقة قد تمتعوا بالإقامة في المدن الساحلية التي نصت عليها الهدنة بعد أن انتهت الحملة وعملوا علي حماية هذه المنطقة الساحلية من الأخطار.أنظر :
عزيز سوريال عطية، العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة فليب صابر سيف، دار الثقافة، الطبعة الأولي، القاهرة ١٩٧٢، ص ١٤٧ ؛ عفاف سيد صبره، العلاقات بين الشرق والغرب وعلاقة البندقية بمصر والشام في الفترة من ١١٠٠-١٤٠٠م، دار النهضة العربية، ب.ط، القاهرة ١٩٨٣، ص٣٧ .
(٢) محمد مؤنس، العلاقات بين الشرق والغرب، ص ٢٤٨ .
(٣) نفسه، نفس المرجع، ص ٢٤٩ .
(٤) عبد المنعم ماجد، المرجع السابق، ص ١٨٤ .
(٥) عمران، المرجع السابق، ص ١٨٤.
فقد أقيمت المآدب والألعاب احتفالا بالصلح، ويقول صاحب سيرة ريتشارد في هذا : " والله وحده يعلم مقدارالسرور الذي ملأ قلوب الشعبين وهو سرور يجل عن الوصف ". أنظر :
ول وايريل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، الجزء الرابع من المجلد الرابع، دار الجيل،ب.ط،بيروت، ب. ت، ص ٤٤ .

على أية حال ؛ لقد انتهت بهذه الهدنة الحملة الصليبية الثالثة بعد أن باءت بالفشل في تحقيق الهدف الأساسي الذي جاءت من أجله وهو الاستيلاء على بيت المقدس(١).

ويذكر البعض أن ريتشارد كافئ الملك العادل على مجهوداته في إجراء هذا الصلح بأن منح أبنه الكامل رتبة الفروسية في احتفال رسمي (٢). والواقع أن هذا الأمر لم يحدث في ذلك الوقت ولهذا السبب، لكن أحداثه جرت في مارس ١١٩٢م حيث دعا ريتشارد العادل لحضور حفل يوم أحد السعف – الخاص بالمسيحيين – وذلك نتيجة لما نشأ بين الاثنان من مودة وتقارب وصداقة متبادلة، وفي هذا الاحتفال الديني ألبس الملك ريتشارد الكامل أبن العادل لباس الفروسية بحضور كبار رجال الجيش الصليبي (٣).

ويقال أن ريتشارد حينما ركب سفينته عائدا إلى بلاد أرسل رسالته الأخيرة إلى صلاح الدين يتحداه ويتوعده بقوله : أنه سيعود بعد ثلاث سنيين ويستولي على بيت المقدس، فكان رد صلاح الدين عليه رد القوي الهادى الرصين الواثق من نفسه إذ قال له مستهزئا به : انه إذا كان لابد أن تقطع يده فإنه يفضل أن يقطعها ريتشارد لا أي رجل سواه (٤). والواقع أن هذه الرسالة لا توجد لها أدني إشارة في المصادر الإسلامية.

---

(١) سيد أمير علي، مختصر تاريـ العرب والتمدن الإسلامي، ترجمة رياض رأفت، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولي، القاهرة ٢٠٠١، ص ٣١٩ ؛ فريال محمود عباس قطان، الحجاز في ظل الدولة الأيوبية، رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف السيد عبد العزيز سالم، كلية الأداب- جامعة الإسكندرية، الإسكندرية ١٩٩٠، ص ١٥٤.
Barker, op.cit., P.66 ; Caril Stephenson, Mediaeval History, Harper publishers, revised edition, New York 1953,P.435.

(٢)نعمان الطيب، المرجع السابق، ص ٣٢٣.

(٣) نظير سعداوي، المرجع السابق، ص٢٨٥ ؛فيلب حتي،صانعوا التاريـ العربي،ترجمة أنيس فريحة،دار الثقافة،الطبعة الثانية،بيروت١٩٠٨، ص١٩٣
Runciman, op.cit., P.63.
هناك من يذكر هذه الواقعة بصورة أخري فحواها أن ريتشارد ألبس حزام الفروسية في هذا الاحتفال للملك العادل. أنظر:
Matthew Strickland, War and Chivalry, Cambridge University press, first edition, London 1996,P.26-27.

(٤) نعمان الطيب ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧ ؛ ول ديورانت ، المرجع السابق ، جـ٤، ص٤٤.
هناك من أورد جواب صلاح الدين بأنه إذا كان سيفتقد بيت المقدس فانه يؤثر أن يكون خصمه رجلا كريتشارد. أنظر : فيلب حتى ، المرجع السابق ، ص ١٩٤.
وهناك من ذكر أن جواب صلاح الدين كان: "في الحقيقة لو أن مشيئة الله بأن تذهب القدس لأيدي غير أيدينا فإنها لن تكون في يد أنبل من يد الملك ريتشارد". أنظر:
Meron Benvenisti, City of Stone the Hidden History of Jerusalem, University of California press, London 1996, P.15.

والأن؛ من الجدير أن نتعرف عن قرب على مدينة عسقلان التي كانت سببا في تعثر المفاوضات أكثر من مرة، ثم استقر الأمر في النهاية على تخريبها طبقا لهدنة الرملة.

تقع مدينة عسقلان في المدخل الجنوبي لبلاد الشام عند خط عرض ٣١ شمالا(١) ، وتأتي في الترتيب على الساحل بعد مدينة أرسوف ويافا(٢). ويلاحظ أن هذا الموقع كان السبب في الشهرة التي اكتسبتها عسقلان منذ العصور القديمة لأنها تقع بذلك على الطريق التجاري بين مصر والشام.

وتبلغ مساحة عسقلان ٦١٠فدان(٣). وهي تتخذ شكل نصف دائرة يمتد قطرها على طول الشاطئ بينما يقع قوس هذه الدائرة على المنطقة المطلة نحو الشرق، وتستقر المدينة بأسرها في حوض يميل نحو البحر(٤). ويغلب على هذه المدينة التربة الرملية،وتكثر بها أشجار الزيتون واللوز والكروم وأشجار الفواكه، فقد كانت تجمع بين الجمال وأصالة المكان واعتدال المناخ ولعل هذا السبب في أنها عرفت بعروس الشام. (٥)

---

(١) مصطفي العسقلاني ، الرسالة السابقة، ص٣٣؛ اليعقوبي، البلدان،المطبعة الحيدارية، الطبعة الثالثة،النجف١٩٥٧،ص٨٥؛ أبو الفداء، تقويم البلدان، دار صادر، ب.ط، بيروت، ب.ت،ص٢٣٩؛ابن شاهين، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس،المطبعة الجمهورية،باريس ١٨٩٣،ص١٥٢.

(٢) المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩، ص١٩٢.

(٣) مصطفي العسقلاني ، الرسالة السابقة ، ص ٣٣.

(٤) وليم الصوري، تاري الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تحقيق سهيل زكار، الجزء الثاني، دار الفكر،الطبعة الأولي ، دمشق ١٩٩٠، ص ٨٠٩.

(٥)الحميري،الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية،بيروت ١٩٨٤، ص٩٥؛ ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان،الجزء الأول، دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية، بيروت١٩٩٢،ص٧٨؛الإدريسي،نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ،المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، ب.ط،القاهرة١٩٩٤، ص٣٥٧؛الهروي، الإشارات إلي معرفة الزيارات، تحقيق جاتين سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، ب.ط،دمشق١٩٥٣ ، ص٣٢؛ البغدادي، مراصد الإطلاع علي أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البيجاوي، المجلد الثاني، دار الجيل، الطبعة الأولي، بيروت١٩٩٢،ص٩٤٠؛ ابن النابلسي،الحقيقة والمجاز في رحلة بلاد الشام ومصر والحجاز،تحقيق رياض عبد الحميد،دار المعرفة،الطبعة الأولي،دمشق١٩٨٩،ص٤٢٨؛ ياقوت الحموي،معجم البلدان،المجلد الرابع،دار صادر الطبعة الثانية،بيروت١٩٩٥،ص١٢٢.

وقد قيل أن الرسول(ﷺ) تحدث عن مدينة عسقلان ومدحها بأقوال عديدة [١]. ويبدو أن هذه الأحاديث كان لها الأثر القوي في نفس صلاح الدين حين فضل موت أحد أبنائه عن تخريب حجر واحد منها. وتوضح روايات المؤرخين والجغرافيين العرب والصليبيين مدي قوة ومناعة مدينة عسقلان، فأشارت لقوة استحكاماتها الحربية من أسوار مرتفعة قوية وتحصينات خارجية تستطيع تحمل ضربات المنجنيقات وآلات الحصار [٢]. ويتكون الدفاع الإستراتيجي لعسقلان من تلال ترابية ترتفع تليها الأسوار في مسافات متكررة ومتناوبة، وتوجد بها الأبراج المكونة من مواد البناء الصلبة والأسوار التي تحيط بها واسعة ذات سمك جيد [٣].

كان لعسقلان أربع بوابات، البوابة الأولي تقع في الجهة الشرقية وتسمي البوابة العظمي، ويطلق عليها أيضا بوابة بيت المقدس لأنها تؤدي إلى بيت المقدس، ويحيط بها برجان عاليان أقيما لتحصين المدينة والدفاع عنها من هذه الجهة، أما البوابة الثانية فتقع غرب المدينة وتسمي بوابة البحر لأنها تؤدي إلى البحر المتوسط، وتقع البوابة الثالثة جنوب المدينة وتؤدي لمدينة غزة لذا عرفي ببوابة غزة، وتقع البوابة الرابعة في الجهة الشمالية للمدينة وتسمي ببوابة يافا لأنها تؤدي إلى مدينة يافا الواقعة إلى الشمال من عسقلان [٤].

ويمكننا أن ندرك الآن؛ أن عسقلان بحكم موقعها ليست فقط بوابة بيت المقدس بل أيضا بوابة مصر، ولهذا حرص السلطان الأيوبي على عدم وقوعها في يد الصليبيين حتي لا يقطعون بها الطريق إلى مصر. فقد كانت مصر طوال الفترة التي شغلها حكم صلاح الدين

---

(١) فيذكر أن الرسول(ص) قال:" إذا دارت الرحا في أمتي كان أهل عسقلان في عافية"،"أفضل الرباط عسقلان"وعن الأحاديث الواردة فضل عسقلان أنظر :
الحنبلي،الأنس الجليل بتاريـ القدس والخليل،الجزء الثاني، المطبعة الحيدارية، ب.ط،النجف١٩٦٨،٧٣؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريـ حلب، تحقيق سهيل زكار،دار الفكر،ب.ط،دمشق ١٩٨٨، ١٠٢؛ القز ويني، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، ب.ط، بيروت، ب.ت،ص٢٢٢.
ويذكر أن عمر بن الخطاب قال:" لولا أن تعطل الثغور وتضيق عسقلان بأهلها لأخبرتكم بما فيها من الفضل" أنظر: ابن الفقيه، مختصر كتاب البلدان، دار صادر،ب.ط، بيروت، ب.ت، ص ١٠٣

(٢) صلاح الدين محمد نوار، العدوان الصليبي علي العالم الإسلامي، دار الدعوة، الطبعة الأولي، الإسكندرية ١٩٩٣، ص ٣١٣.

(٣) أسامة سيد علي أحمد، الساحل الشامي في القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري، رسالة ماجستيرغير منشورة، إشراف أحمد رمضان أحمد، كلية الآداب- جامعة عين شمس، القاهرة ١٩٩٢، ص١٤٦

(٤) مصطفي العسقلاني، الرسالة السابقة، ص٣٥.

الأيـوبي، القاعـدة الأساسـية الـتي انطلقـت منهـا الجيـوش والإمـدادات البـشرية والتمـوين الاقتصادي [١].

أما بالنسبة لريتشارد ؛ فلعله أدرك أن عسقلان بحكم موقعها نقطة عسكرية أمامية للقادة المصرية ومركزا متقدما يسمح بتويجه الضربات على الرملة ويافا وعن طريقها يمكن فصل القدس عـن البحـر[٢]. ولهـذا سعي إلى إعـادة تعميرهـا حـتي يـضمن تـأمين حـدود بيـت المقدس من الجنوب.

وهكذا ؛ يتضح أن البند الخاص بتخريب عسقلان في هدنـة الرملـة يظهـر بجـلاء مـدي حرص السلطان على لتحقيق الأمـن لمصر. ويـذكر أن ريتـشارد رحـل إلى بـلاده وفي رأسـه أن الطريق إلى مملكة بيت المقدس يبدأ أولا بمصر، وقال بضرورة تنفيـذ هـذه الفكـرة أكثـر مـن واحد من رجاله قبل رحيلهم عن الشرق[٣].

أما بالنسبة لعسقلان فبعـد أن عقـدت الهدنـة بعـث الـسلطان إليهـا مائـة مـن النقـابين والحجارين لتنفيذ عملية التخريب بعد إخراج الصليبيين منها [٤]. وبهذا تم تخريبهـا للمـرة الثانية.

(١) رأفت عبد الحميـد، قضايا مـن تـاريـ الحـروب الـصليبية، عـين للدراسـات الإنـسانية، الطبعـة الأولـي، الجيزة ١٩٩٨، ص١٦١.
(٢) أسامة سيد، الرسالة السابقة، ص١٤٨.
(٣) رأفت عبد الحميد، المرجع السابق، ص١٦١؛محمد مؤنس، العلاقات بين الشرق والغرب،ص٢٥٠.
(٤) ابن شداد، المصدر السابق، ص ٣٤٨-٣٤٩ ؛ ابن سباط، المصدر السابق، ص٢٠٥.

الخاتمة

والآن ؛ نصل إلى رؤية شاملة لأحداث المفاوضات يمكن إجمالها في النقاط التالية :

أولاً : إن أخطر الوسائل في الدبلوماسية هي إكتساب الوقت وإختراع الأفكار للتسوية وهذا ما حرص عليه الطرفان أثناء مسيرة المفاوضات بينهم ، ففي حين عمل العادل على اكتساب الوقت بشتى الطرق الممكنة والتي منها التردد في الإجابة على مطالب ريتشارد ، قابل الأخير هذا بدهاء سياسي عمد فيه إلى تقديم مقترحات عديدة للوصول إلى مأربه من هذه الحملة وهو إسترجاع الأرض المقدسة بأي وسيلة.

ثانياً : أثرت الحالة العسكرية للجانبين بالإضافة إلى الضغوط الداخلية في سير المفاوضات، فبينما دفعت الأولي الجانب الصليبي للدخول في المفاوضات، أدت الثانية بالمسلمين إلى قبول مبدأ التفاوض نظرا للحالة السيئة التي كانت عليها البلاد من طول فترة الحرب. كما يلاحظ أن أسلوب صلاح الدين في الرد على رسائل ريتشارد كان يجمع في الغالب بين الكياسة واللباقة والثقة بالنفس، في حين إمتازت رسائل قلب الأسد بطابع الشدة والتهديد والترغيب بالإضافة إلى اعتماده على المراوغة وعدم إلتزامه بما يتفق عليه فقد كان دائما يعدل في مقترحاته ويقتصد في طلباته، بل كان يخلط الجد بالهزل حين عرض فكرة المصاهرة السياسية كحل يمكن الإرتكان إليه للوصول إلى صلح بين الجانبين.

ثالثاً : نشأت بين الملك العادل والملك ريتشارد خلال المفاوضات مودة وصداقة متبادلة دفعت كلا منها إلى أن يحتفي بالآخر حين يلقاه. فقد كان العادل يحمل بعض الطعام والتحف والهدايا لريتشارد حين يلقاه، كما يفعل الأخير بالمثل معه بل تطور الأمر لأكثر من هذا لنجد أن ريتشارد كان يطلب من العادل أن يكون وسيطا له عند شقيقه السلطان فيحصل منه على الموافقة لمقترحاته التي كان السلطان قد رفضها في السابق. وفي هذا الدليل الناصع على أن ريتشارد عمد إلى استخدام كل شيء وأي شيء للوصول إلى أهدافه حتى لو كان إستخدام تلك العلاقة الحميمة التي نشأت بينه وبين العادل والتي كان يوجها لخدمة أغراضه.

رابعاً : أظهرت هذه المفاوضات بجلاء مدي توحد الجانب الإسلامي وتماسكه، فعلى مدار المفاوضات نلاحظ هذا التوحد الذي جمع بين صلاح الدين وأمرائه من خلال مجلس المشورة الذي كان ينعقد للنظر في أمور البلاد ومدي إحتياجها للصلح. كما كان هذا المجلس عونا للسلطان في دراسة مقترحات ريتشارد وتقييمها، إلا أنه قد ترك الرأي للسلطان في أمر مشروع الزواج دون مناقشته ولعل ذلك كان من أبرز الدلائل على استنكار المسلمين لهذا الأمر. ومن جهة أخري؛ أوضحت المفاوضات مدي تمزق الجانب الصليبي وإنشقاقه، فلم يكن قادة الجيش يختلفون فيما بينهم فحسب بل إختلف الأمراء والملوك، ففي البداية كان الخلاف بين الملك الإنجليزي والملك الفرنسي مما أدي لرحيل الأخير عن الشرق، ثم تطور الأمر لخلاف بين الصليبيين المحليين في صورة المركيز كونراد مع الصليبيين الواردين في صورة الملك ريتشارد. وهذا ما أدي بالرجلين إلى طريق الحقد والكراهية.

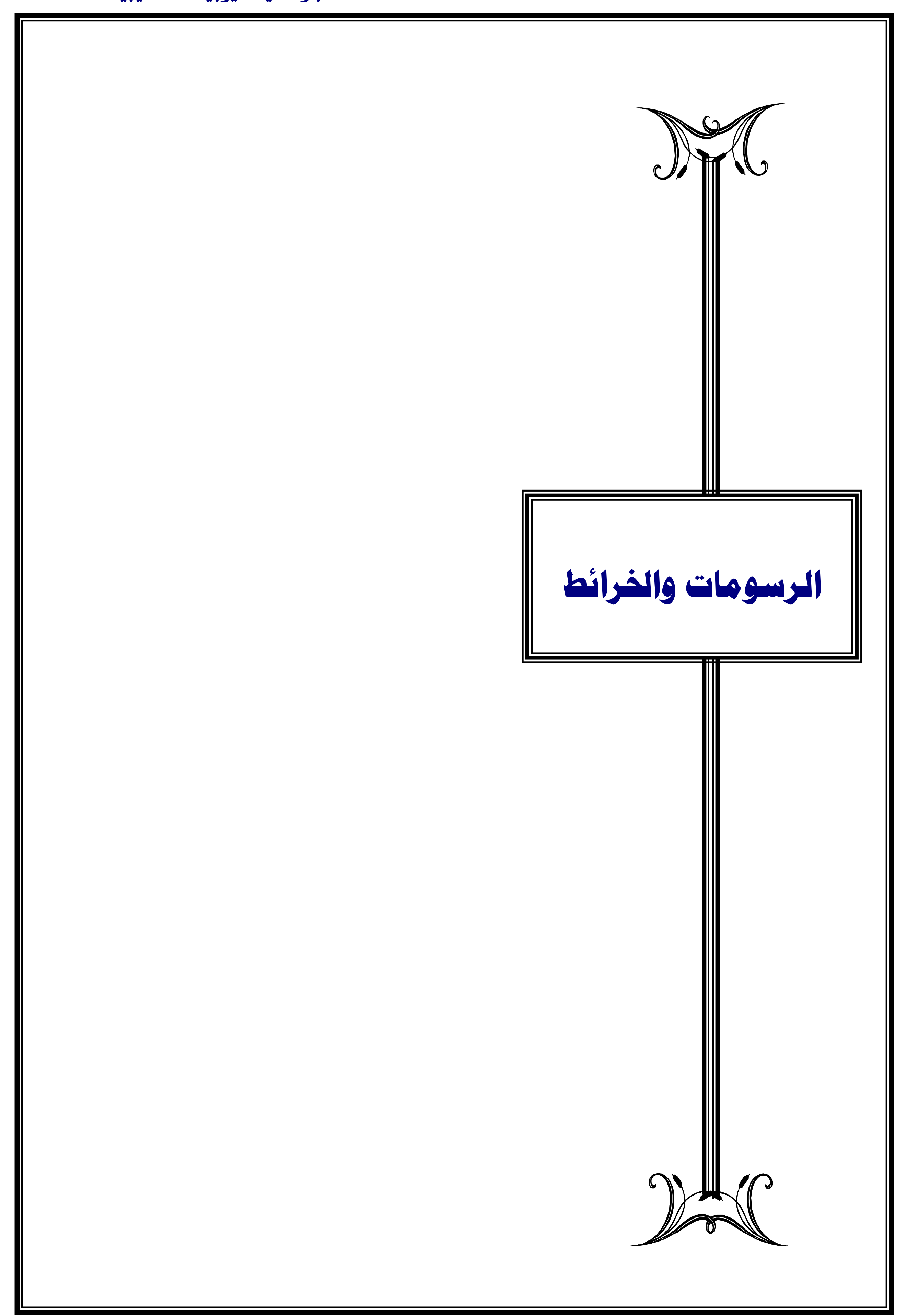
خامساً : كان العامل الجغرافي وراء الدبلوماسية ومسيرة المفاوضات، فقد أدت مدينة عسقلان إلى عرقلة المفاوضات أكثر من مرة نظرا لما لها من أهمية في الربط بين الساحل الشامي والساحل المصري. ومن الملاحظ أنه في حين سارع صلاح الدين بتخريب عسقلان حتي لا تقع في يد الصليبيين، تثاقل الصليبيين في الإستيلاء عليها مما أعطي السلطان فرصة كافية لتدمير المدينة. وقد كان التباطيء في الإستيلاء على المدينة أمرا طبيعيا مع وجود الإنقسامات بين القادة بين مؤيدين للسيطرة على المدينة ومعارضين رأوا ضرورة التوجه إلى يافا أولا ثم إلى بيت المقدس. بيد أن وقوع المدينة في يد ريتشارد بعد ذلك وتعميره لها وإدراكه لأهميتها أدي لتوقف المفاوضات أكثر من مرة، وإذا كان في النهاية لم يتركها إلا مجبرا فلعله لم يوافق على أن تكون للمسلمين إلا إذا تم تخريبها. ومن ناحية أخري أدي إدراك صلاح الدين لأهمية هذه المدينة على أمن مصر لموافقته على تخريبها كي تكون بيد المسلمين حتي ولو كانت خربة فهذا أفضل من أن تكون بيد الصليبيين محصنة قوية.

سادساً : كان ريتشارد يجمع في إدراكه بين الواقع العسكري والواقع الدبلوماسي، ففي حين كان يفرض شروطا قبل معركة أرسوف، كاد يقبل شروطا أكثر في هدنة الرملة مثل التنازل عن عسقلان. ومن زاوية أخري؛ فإن إنتصاره في معركة عكا وأرسوف لم يحدث تغيير في الهدف الذي جاء من أجله، بيد أنه إذا كان لم يحصل عليه في أرض المعركة فإنه لم يحصل عليه على مائدة التفاوض آلا وهو بيت المقدس.

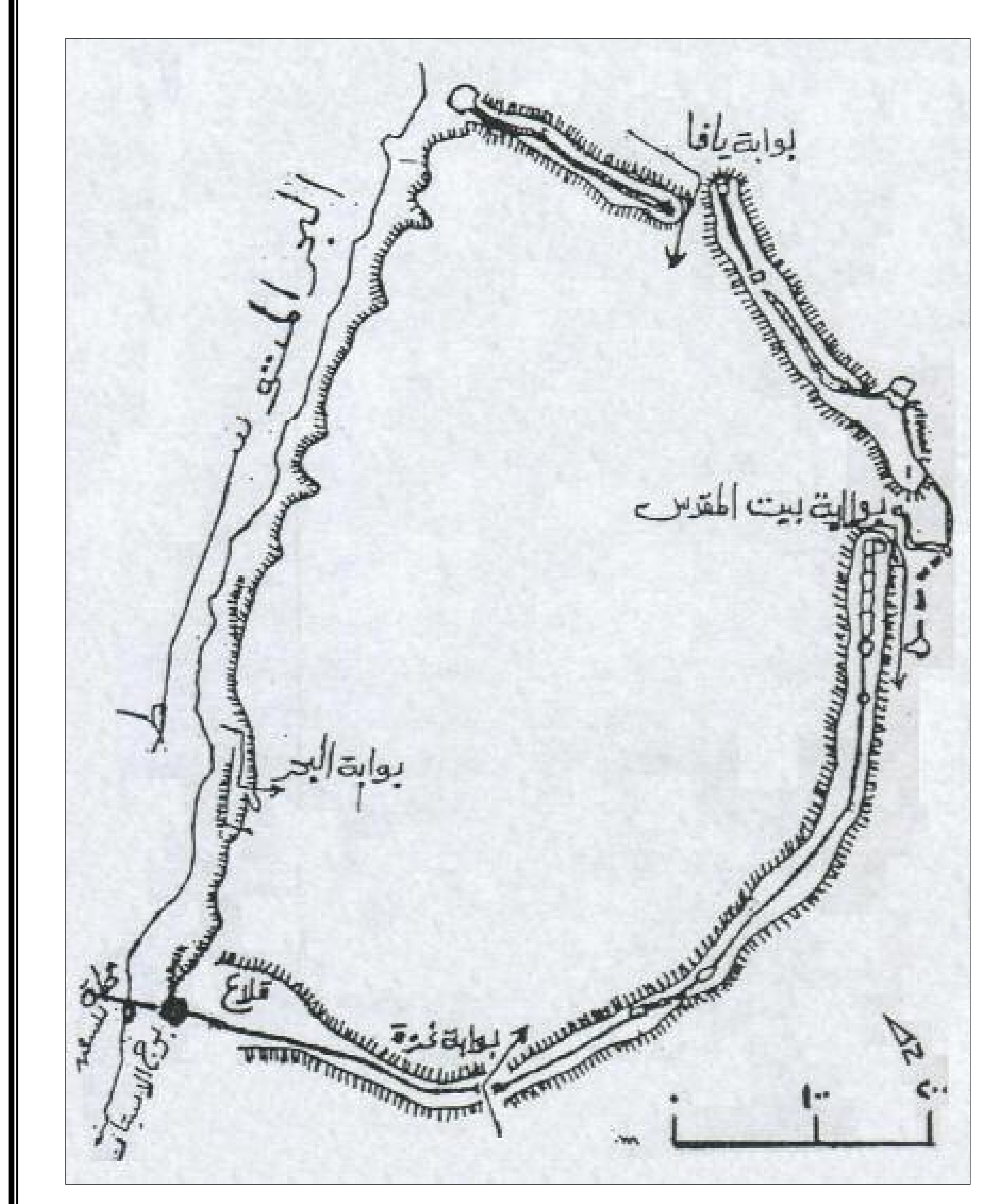
سابعا : كانت المفاوضات بين الجانبين عبارة عن حرب دبلوماسية أيوبية- صليبية إنتهت بإنتصار دبلوماسي أيوبي وهو هدنة الرملة. فبعد عام كامل من التفاوض حافظت هذه الهدنة على غالبية مكاسب معركة حطين التي حققها المسلمين، كما أصابت الصليبيين بخيبة أمل بعد أن فشلوا في الإستيلاء على بيت المقدس. أما بالنسبة للصليبيين فقد كان إحتفاظهم بمدينة عكا وحيفا وقيسارية وأرسوف ويافا بمثابة مكسب لهم، مع الأخذ في الإعتبار أنهم لم يحصلوا على هذه المناطق بمقتضي الهدنة التي عقدوها مع المسلمين وإنما كانت نتاج العمل العسكري وما حققوه من مكاسب على أرضية الصراع .

ثامنا : وضعت هدنة الرملة حدا لصراع عنيف بين المسلمين والصليبيين في بلاد الشام، كما أنهت أحداث عاصفة شارك فيها كبار ملوك وأباطرة أوربا مع أعظم قادة العرب.كما أنهت فترة طويلة من الحرب قاسي فيها الفريقين العديد من الآلام، فكانت فرحتهم بالهدنة ومبادرة كل منهما إلى الاختلاط بالفريق الثاني في مودة وتسامح .





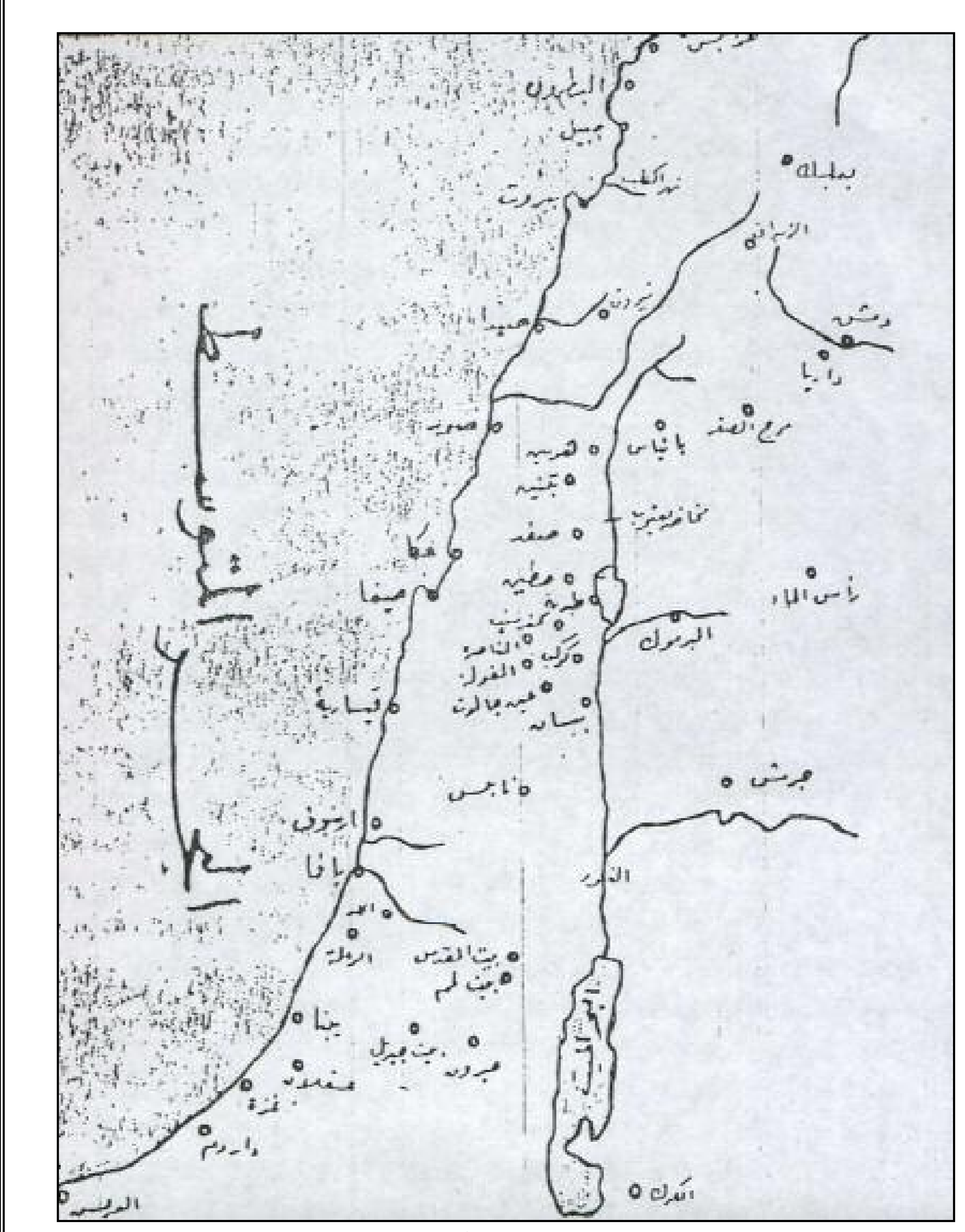
الرسومات والخرائط



رسم تخطيطي [1]

بوابات مدينة عسقلان وتحصيناتها الدفاعية

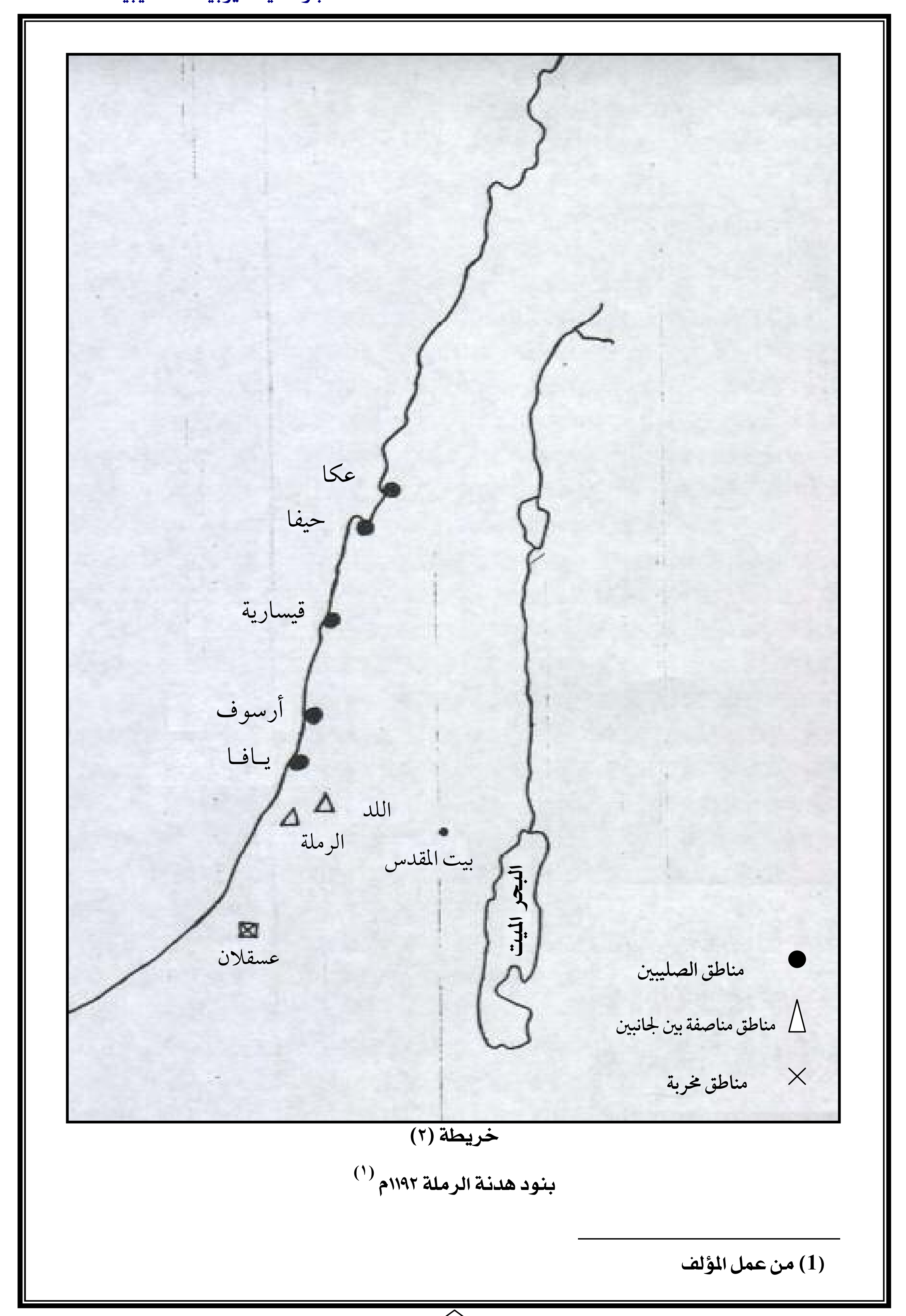
(1) نقلاً عن مصطفي العسقلاني، عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، ص ٣٤.



خريطة [١]

فلسطين زمن الحروب الصليبية

(1) نقلاً عن محمد مؤنس، العلاقات بين الشرق والغرب،ص ٣٨٩.



خريطة (٢)

بنود هدنة الرملة ١١٩٢م (١)

---

(1) من عمل المؤلف



المصادر والمراجع

- أولاً : المصادر العربية.
- ثانياً: المراجع العربية.
- ثالثاً: المراجع الأجنبية المعربة.
- رابعاً: الرسائل العلمية.
- خامساً: المصادر الأوربية المعربة.
- سادساً: المصادر والمراجع الأجنبية.

أولا: المصادر العربية

القرآن الكريم

ابن الأثير: (عز الدين محمد ابن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ ،المجلد الثاني عشر،دار صادر،الطبعة الثالثة، بيروت١٩٨٢

ابن إياس: (محمد ابن اياس الحنفي)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول- القسم الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٨٢.

ابن أيبك الدواداري (أبو بكر بن عبد الله ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م)، كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء السابع،ب.د، ب.ط، القاهرة ١٩٧٢.

ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، الجزء الأول، دار إحياء العلوم، الطبعة الثانية، بيروت١٩٩٢.

ابن حوقل: (أبو القاسم بن حوقل ت٣٨٠ هـ)، صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، ب.ط، القاهرة ١٩٩٨.

ابن خلدون: (عبد الرحمن بن محمد ت٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م)، العبر وديوان المبتدأ والخبر، الجزء الخامس، مؤسسة جمال للنشر، ب.ط، بيروت، ب.ت .

ابن خلكان: (أبو العباس شمس الدين ت٦٨١ هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، المجلد السابع ،ب.د، ب.ط، بيروت ١٩٩٤.

ابن سباط: (حمزة بن أحمد)، صدق الأخبار، تحقيق عمر عبد السلام، الجزء الأول، جروس برس، الطبعة الأولي، طرابلس ١٩٩٣.

ابن شاهين: (غرس الدين خليل ت٨٧٢ هـ/١٤٦٧م)، زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بول رافيس،المطبعة الجمهورية ب.ط، باريس ١٨٩٣.

ابن شداد: (القاضي بهاء الدين ت٦٣٢ هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، مكتبة الخانجي، الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٩٤ .

ابن العبري: (غريغوريوس ت ٦٨٥هـ/١٢٥٦م)، تاريخ الزمان، تحقيق اسحق أرمله، دار المشرق، ب.ط، بيروت ١٩٩١ ؛ تاريخ مختصر الدول، ب.د، الطبعة الأولي، ب.م، ب.ت .

ابـــن العـــديم: (كما الدين أبو القاسم ت ٦٦٠هـ/١٢٦٤١م) ، زبدة الحلب من تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، الجزء الثالث، ب.د، ب.ط، دمشق، ب.ت ؛ بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق سهيل زكار ، الجزء الأول ، دار الفكر ، ب.ط ، دمشق ١٩٨٨ .

ابـــن العمـــاد الحنبلـــي: (أبـو الفـلاح عبـد الحـي ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م) ، شـذرات الـذهب في أخبـار مـن ذهب ، الجزء الثالث ، دار الكتب العلمية ، ب.ط، بيروت ، ب.ت .

ابـــن الفـــرات: (ناصـر الـدين محمـد ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م) ، تـاريخ الـدول والملـوك ، تحقيـق حسن محمد الشماع ، المجلد الرابع – الجزء الثاني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٧ .

ابـــن الفقيـــه: مختصر كتاب البلدان ، دار صادر، ب.ط ، بيروت ، ب.ت .

ابـــن كـــثير: (الحـافظ عمـاد الـدين إسماعيـل ت ٧٤٤هـ/١٣٧٣م) ، البدايـة والنهايـة ، المجلد السادس ، دار الغد العربي ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩١ .

ابـــن النابلـــسي: (عبـد الغـني بـن إسماعيـل) ، الحقيقـة والمجاز في رحلـة بـلاد الـشام ومـصر والحجـاز ، تحقيـق ريـاض عبـد الحميـد مـراد ، دار المعرفـة الطبعـة الأولـي، دمشق ١٩٨٩ .

ابـــن واصـــل: (جمـال الـدين محمـد ت ٦٩١هـ/١٢٩١م) ، مفـرج الكـروب في أخبـار بـني أيـوب، تحقيق جمال الدين الشيال ، الجزء الثاني ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٩٥٧.

ابـــن الـــوردي: (أبـو حفـص زيـن الـدين ت ٧٤٩ هـ/١٣٤٩م) ، تـاريخ ابـن الـوردي ، الجـزء الثاني ، ب.د ، الطبعة الثانية ، النجف ١٩٦٩ .

أبـــو شـــامة: (شـهاب الـدين عبـد الـرحمن ت ٦٥٥هـ/١٢٦٧م) ، عيـون الروضـتين في أخبـار الدولتين النورية والصلاحية ، تحقيق أحمد البيومي ، القسم الثاني ، مكتبة الأسد، ب.ط ، دمشق ١٩٩٢ .

أبـــو الفـــداء: (عمـاد الـدين إسماعيـل محمـد ت ٧٣٢هـ/١٣٣٢م) ، تقـويم البلـدان ، دار صـادر، ب.ط ، بـيروت ، ب.ت ؛ المختـصر في أخبـار البـشر ، الجـزء الثالـث، مكتبـة المتـنبي، ب.ط ، القاهرة ، ب.ت .

الإدريـــــس: (الـشريف الإدريـس ت ق٦ هـ/ ١٢م) ، نزهـة المـشتاق في اخـتراق الأفـاق ، المجلد الأول ، مكتبة الثقافة الدينية ، ب.ط ، القاهرة ١٩٩٤ .

الإصـــطخري: (أبو اسحق إبراهيم) ، مسالك الممالك ، دار صادر ،ب.ط ، بيروت ، ب.ت.

البغـــدادي: (صفي الدين عبد المؤمن) ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، تحقيق علي محمد البيجاوي ، المجلد الثاني ، دار الجيل ، بيروت ١٩٩٢.

الحريـــري: (أحمد بن علي) ، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين على ديار المسلمين، تحقيق سهيل زكار، دار الملاح ، ب.ط ، دمشق ١٩٨١ .

الحميري: (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس ، مكتبة لبنان الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٨٤ .

الحنبلي: (أبو اليمن القاضي مجير الدين) ، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، الجزء الثاني ، المطبعة الحيدرية ، ب.ط ، النجف ١٩٦٨ .

الذهبي: (الحافظ شمس الدين أبو عبد الله ت ٧٤٨ هـ/١٣٤٨م) ، دول الإسلام ، تحقيق حسن إسماعيل مزوه ، الجزء الثاني ، دار صادر ، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٩٩؛ العبر في خبر من غبر ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، الجزء الرابع ، وزارة الإرشاد والأنباء ، ب.ط ، الكويت ١٩٦٣ .

السائح الهروي: (أبو الحسن علي ت ٦١١ هـ/١٢١٥م) ، الإشارات إلى معرفة الزيارات ، تحقيق دومنيك سورديل ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، ب.ط ، دمشق ١٩٥٣ .

سبط ابن الجوزي: (أبو المظفر يوسف ت ٦٥٤ هـ/١٢٥٦م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، الجزء الثامن ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الطبعة الأولي ، الهند ١٩٥١.

العماد الكاتب الأصفهاني: (محمد بن محمد ت ٥٩٧ هـ/١٢٠١م) ، الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح ، المطبعة الخيرية ، ب.ط ، القاهرة ١٩٦٥.

القرماني: (أبو العباس أحمد بن يوسف) ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، مكتبة المتنبي ، ب.ط ، القاهرة ، ب.ت.

القزويني: (زكريا بن محمد ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣م) ، آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر، ب.ط ، بيروت ، ب.ت .

المقدسي البشاري: (شمس الدين ت ٣٧٥ هـ/٩٨٥م) ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مطبعة بريل ، الطبعة الثانية ، ليدن ١٩٠٩ .

المقريزي: (تقي الدين أحمد ت ٨٤٥ هـ/١٤٤١م) ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد مصطفي زيادة ، الجزء الأول- القسم الأول ، ب.د ، الطبعة الثانية ، ب.م ، ب.ت.

النويري: (شهاب الدين أحمد ت ٧٣٣ هـ/١٣٣٢م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق محمد محمد أمين وحلمي محمد أحمد ، الجزء الثامن والعشرون ، دار الكتب المصرية، ب.ط ، القاهرة ١٩٩٢.

اليافعي: (أبو محمد عبد الله ت٧٦٨ هـ/ ١٣٦٦م)، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، الجزء الثالث ، دار الكتاب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٣ .

ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبو عبد الله ت ٦٧٦ هـ/ ١٢٢٨م) ، معجم البلدان ، المجلد الرابع، دار صادر ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٩٥.

اليعقوبي: (أحمد بن أبو يعقوب الكاتب) ، البلدان ، المطبعة الحيدارية ، الطبعة الثالثة ، النجف ١٩٥٧.

ثانياً: المراجع العربية

حاتم عبد الرحمن الطحاوي ،الاقتصاد الصليبي في بلاد الشام ، عين للدراسات الإنسانية، الطبعة الأولي ، الجيزة ١٩٩٩.

حسين الأمين ،صلاح الدين بين العباسيين والفاطميين والصليبيين ، دار الجديد، الطبعة الأولي ، بيروت ١٩٩٥ .

رأفت عبد الحميد ،قضايا من تاريخ الحروب الصليبية ، عين للدراسات لإنسانية ، الطبعة الأولي ، الجيزة ١٩٩٨ .

سعيد أحمد برجاوي ،الحروب الصليبية في المشرق ، ب.د ، ب.ط ، بيروت ١٩٨٤ .

سعيد عبد الفتاح عاشور ،الحركة الصليبية ، الجزء الثاني ، مكتبة الأنجلو ، الطبعة السادسة ، القاهرة ١٩٩٤ ؛ الناصر صلاح الدين، الدار المصرية للتأليف ، ب.ط، ب.م ، ب.ت.

السيد الباز العريني ،الشرق الأوسط والحروب الصليبية ، جـ ١ ، دار النهضة العربية ، ب.ط ، القاهرة ١٩٦٣ .

شاكر مصطفي ،التاريخ العربي والمؤرخون ، جـ ٢ ، الطبعة الثانية، دار العلم ، بيروت ١٩٧٩.

صلاح الدين محمد نوار ،العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ، دار الدعوة، الطبعة الأولي ، الإسكندرية ١٩٩٣ .

عارف باشا العارف ،تاريخ القدس ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٩٤.

عبد المنعم ماجد ،العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطي ، مكتبة الجامعة العربية ، ب.ط ، بيروت ١٩٩٦.

عفاف سيد صبره ،العلاقات بين البندقية ومصر والشام (١١٠٠- ١٤٠٠)، دار النهضة العربية ، ب.ط ، القاهرة ١٩٨٣ .

عمر كمال توفيق ،الدبلوماسية الإسلامية والعلاقات السلمية مع الصليبيين ، ب. د، ب.ط ، الإسكندرية ١٩٨٦ .

محمد بيومي مهران ،المدن الكبرى في مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثاني ، دار المعرفة الجامعية ، ب.ط ، الإسكندرية ١٩٩٩.

محمد كرد علي ،خطط الشام ، الجزء الثاني ، ب.د ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٦٩ .

محمد مؤنس عوض ،الصراع الإسلامي الصليبي معركة أرسوف ، عين للدراسات الإنسانية ، الطبعة الأولي ، الجيزة ١٩٩٧ ؛ العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات الإنسانية ، الطبعة الأولي ، الجيزة ١٩٩٩ ؛ الجغرافيون والرحالة ،المسلمون في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية ، عين للدراسات الإنسانية ، الطبعة الأولي ، الجيزة ١٩٩٥ .

محمود سعيد عمران ،تاريخ الحروب الصليبية (١٠٩٥-١٢٩١) ، دار المعرفة الجامعية ، ب.ط ، الإسكندرية ١٩٩٥ .

نظير حسان سعداوي ،التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي ، مكتبة النهضة ، ب.ط ، القاهرة ١٩٥٧ .

نعمان الطيب سليمان ،منهج صلاح الدين الأيوبي في الحكم والقيادة ، مطبعة الحسين ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩١ .

ثالثاً: المراجع الأجنبية المعربة

اتش.إ.ماير ،تاريخ الحملات الصليبية ، الجزء الأول ، ترجمة محمد الشاعر ، دار الأمين ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٩٩.

ارنست باركر ،الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني ، دار النهضة العربية ، الطبعة الرابعة ، بيروت ١٩٦٧ .

ستيفن رانسيمان ،تاريخ الحروب الصليبية ، الجزء الأول ، ترجمة السيد الباز العريني ، الجزء الثالث ، ب.د ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٩٣ .

سيد أمير علي ،مختصر تاريخ العرب والتمدن الإسلامي ، ترجمة رياض رأفت ، دار الآفاق العربية ، الطبعة الأولي ، القاهرة ٢٠٠١.

عزيز سوريال عطية ،العلاقات بين الشرق والغرب ، ترجمة فيليب صابر سيف ، دار الثقافة ، الطبعة الأولي ، القاهرة ١٩٧٢ .

فيليب حتي ،صانعوا التاريخ ، ترجمة أنيس فريحة ، دار الثقافة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٠٨ .

ميخائيل زابوروف ،الصليبيون في الشرق ، ترجمة إلياس شاهين ، دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٦ .

هاملتون جب ،دراسات في حضارة الإسلام ، ترجمة إحسان عباس وآخرون، دار العلم للملايين ، ب.ط ، بيروت ١٩٦٤ .

ول وايريل ديورانت ،قصة الحضارة ، الجزء الرابع من المجلد الرابع ، ترجمة محمد بدران ، دار الجيل ، ب.ط ، بيروت ، ب.ت .

رابعاً: الرسائل العلمية

إبراهيم سعيد فهيم محمود ، يافا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي(١٠٩٩- ١٢٩١) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف جوزيف نسيم يوف ، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ١٩٩١ .

أسامة سيد علي أحمد ،الساحل الشامي في القرن الثاني عشر السادس الهجري، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف أحمد رمضان أحمد ، كلية الآداب- جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٩٢.

جرجس فام ميخائيل ،الأحوال السياسية لملكة بيت المقدس الصليبية وعلاقاتها الخارجية (١١٩١- ١٢٩١) ،رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف فايز نجيب اسكندر ، كلية الآداب- جامعة الزقازيق، الزقازيق ١٩٨٩ .

زكي النقاش ،الحشاشون وأثرهم في السياسة والاجتماع ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، إشراف حسن إبراهيم حسن ، كلبة الآداب- جامعة القاهرة ، الجيزة ١٩٥٣ .

سهير محمد مليجي علي ،حلب في القرن الثاني عشر الميلادي السادس الهجري ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف علية عبد السميع الجنزوري ، كلية البنات- جامعة عين شمس ، القاهرة ١٩٩٦ .

فريال محمود عباس قطان ،الحجاز في ظل الدولة الأيوبية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، إشراف السيد عبد العزيز سالم ، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ١٩٩٠ .

مصطفي عبد العزيز العسقلاني ،عسقلان ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف محمد محمد مرسي الشيخ ، كلية الآداب- جامعة الإسكندرية ، الإسكندرية ١٩٩٢ .

خامساً: المصادر الأوروبية المعربة

مؤرخ الجستا المجهول: (فارس صليبي في جيش بوهيمند عاصر القرن٥ هـ/١١م) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة وتحقيق حسن حبشي، الجزء الثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ب.ط، القاهرة ٢٠٠٠.

وليم الصوري: (ت ١١٨٥م/ ٥٨١ هـ)، تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار، تحقيق سهيل زكار، الجزء الثاني، دار الفكر، الطبعة الأولي، دمشق ١٩٩٠ .

سادساً: المصادر والمراجع الأوروبية

Ambroise, The Crusade of Richard Lion-Heart, translated by Hubert and John L. Lamonte, Columbia University press, New York 1941.

Barker: (Ernest), The Crusades, oxford University press, London 1949

Benvenisti: (Meron), City of Stone the Hidden History of Jerusalem, University of California press, London 1996.

Brooke: (Z.N.), A History of Europe (911-1198), first published, London 1938.

Duggan: (Alfried), The story of The Crusades (1097-1291), faber press, first published, London 1963.

Hulme: (Edword Muslin), The Middle Ages, revised edition, New York 1938.

Lamb: (Harlod), The Crusades the Flame of Islam, New York 1931.

Malcolm Cameron Lyons and D.E.P.Jackson Saladin the Politics of the Holy War, Cambridge University press, second edition, London 1997.

Martin Windrow and Francisk Mason, A Concise Dictionary of Military Biography, Camelot press, first published, London 1975.

Mayer: (Hans Eberhard), London 1972. The Crusades, oxford University press,

Painter: (Sidney), A History of the Middle Ages (284-1500),Second printing, New York 1954.

Pernoud: (Regine), The Crusades, London 1962.

Rily: (Smith), The Crusades (1095-1279), first published, London 1981.

Robert lee Wolef and Harry W.Hazard, The Later Crusades (1189-1311), Vol.2, University of Pennsylvania press, London 1962.

Runciman: (Steven), The History of Crusades, Vol. 3, Cambridge University press, London 1954.

Stephenson: (Caril), Mediaeval History, Harper publishers, Revised edition, New York 1953.

Strickland: (Matthew), War and Chivalry, Cambridge University Press, first edition, London 1996.

Thompson: (James Westfall), The Middle Ages (300-1500), Vol. 1,pilmpton press, London 1931.

Thorne: (J.O.), Chambers's Biographical Dictionary, New edition, London 1961.